رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قصص من الواقع

الشيخ/عبد الحميد جاسم البلالي

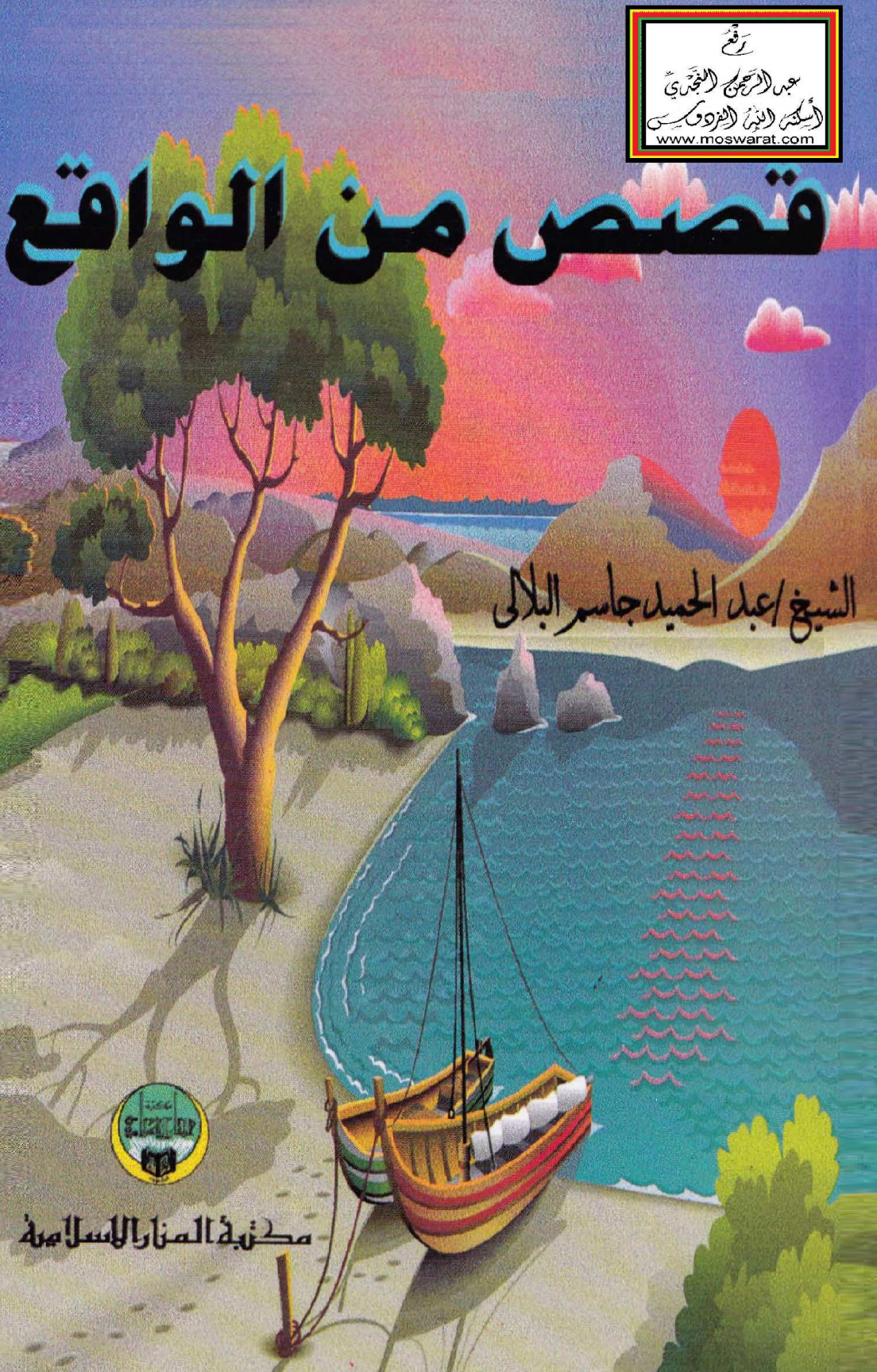

مكتبة المنار الإسلامية

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قصص من الواقع

مكتبة المنار الإسلامية
كويت

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مكتبة المنار الإسلامية

كويت - حولي - شارع المثنى - تلفون: ٢٦١٥٠٤٥ - ٢٦٥٤٦٣٩

فاكس: ٢٦٣٦٨٥٤ - ص. ب: ٤٣٠٩٩ حولي - الرمز البريدي 32045

قصص من الواقع

بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقدمة

القصة من أقدم وأبرز الوسائل التي تؤثر على المتلقين في إيصال الرسالة، سواءً كانت مسموعة أو مقروءة.. والقصة محببة للجميع: للصغير والكبير، للرجل والمرأة؛ ولهذا السبب اعتمدها القرآن الكريم في إيصال المفاهيم العقدية في سور كثيرة منه - كما هو الحال في سورة يوسف عليه السلام - أو قصص متفرقة كما هو في سورة الكهف.

وكذلك جاءت السنة النبوية المطهرة مليئة بالقصص لإيصال الحكم والمباديء الإسلامية.. والإنسان بطبيعته قد ينسى الكثير من المواعظ المجردة، ولكن هذه الموعظة لايمكن أن تنسى إذا جاءت ضمن قصة.. والقصة لا يمكن أن تحدث التأثير القوي إلا عندما تكون واقعية أو قريبة من الواقع، ولهذا السبب اخترت مجموعة من القصص الواقعية لما فيها من المعاني الأخلاقية والقيم الكبيرة، وأرجو من الله أن تكون عاملاً من عوامل البناء الأخلاقي والمتعة البريئة لمن يقرؤها.

أبو خلاد

دروس من السيرة (١)

في حادثة الهجرة النبوية المليئة بالدروس والعبر، كان الدرس الأول الذي يتلقاه الصديق من معلم البشرية ﷺ عن «السكينة عند المحن» فعندما لجأ إلى الغار واقترب الأعداء من مدخل الغار حتى كانوا قاب قوسين أو أدنى، كان الاضطراب بادياً على الصديق رضي الله عنه وهو يُسّر للنبي ﷺ في أذنه ويقول: «لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا»، وهو يكرر النظر لأولئك الواقفين على باب الغار شاهرين السيوف بعد أن استنفرت قريش فرسانها لمهمة اغتيال النبي ﷺ والإتيان برأسه الشريفة حياً أو ميتاً، والرسول ﷺ يرد عليه بكل ثقة: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟»(١).

فهي الثقة بالله وبنصره، وهو اليقين برفع الخطر والبلاء أياً كان وأينما كان، وهو الشعور بمعية الله تعالى التي أنتجت هذه «السكينة» وهو يرى السيوف مسلطة على بُعد متر أو أقل.

نعم.. فإن الله كان ثالثهما.. كان الله معهما، لأنهما أتما

(١) البخاري (٣٣٨٠) كتاب المناقب.

تحقيق المعادلة التي ذكرها الله في كتابه: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾(محمد)، فالله تعالىٰ غير عاجز عن نصر عباده إذا حققوا الشرط وهو نصرته تعالىٰ، وذلك باتباعه والرجوع إليه، والتحاكم إلىٰ شرعه، والذي ينصرنا في أزماتنا قادر علىٰ نصرنا كل مرة علىٰ أن نزيد صلتنا به ـ تعالىٰ ـ، ونتقرب إليه بما يجب أفراداً وحكومات وهيئات، وندعوه متذللين أن يجلي عنا كل فتنة ويثبت السكينة في قلوبنا جميعاً.

دروس من السيرة (٢)

عشرة آلاف مقاتل من قريش ومن تبعهم من «كنانة» و«تهامة» و«غطفان» يحيطون بالمدينة إحاطة السوار بالمعصم، واليهود في داخل المدينة يعدون لانقلاب داخلي بعد اتفاقهم مع كفار قريش، وأخطر من كل أولئك المنافقون، الذين كانوا يقومون بأخس دور داخل المدينة، وذلك بنشر الإشاعات واختلاق الروايات من أجل زعزعة النفوس وتهيئتها للهزيمة، حتى بلغ الخوف مبلغه، إذ يصفه رب العزة بقوله تعالى:

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ (الأحزاب).

هذا الزلزال الشديد الذي ابتلي به الصحابة لم يكن سببه حشد قوات الكفار حول المدينة ولا التحركات المشبوهة لليهود داخلها، إنما كان أكثره بسبب إشاعات المنافقين داخل المدينة، فقد كانوا يتندرون بأحاديث الفتح، وكانوا يقولون للناس: «يخبركم - أي الرسول ﷺ - أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة

ومدائن كسرىٰ وأنتم تحفرون الخندق، لا تستطيعون أن تبرزوا» وفيهم قال تعالىٰ:

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ (الأحزاب).

إشاعة التثبيط والإرجاف من أخطر الأسلحة الفتاكة للوحدة الداخلية، أن بعضاً من المواطنين وللأسف الشديد يتطوع دون تكليف بنشر مثل هذه الإشاعات الخطيرة ويبثها بين الناس حتىٰ يدب الهلع والفزع بين المواطنين، وإذا قيل له: من قال لك ذلك؟ قال: «يقولون».

والله تعالىٰ يقول: ﴿ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (الحجرات).

دروس من السيرة (٢)

يذكر الله تعالىٰ قصة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ عندما انتهوا من فتح مكة وتوجهوا إلىٰ حنين لمقاتلة هوازن وثقيف، وقد غرتهم كثرتهم، حيث كانوا اثني عشر ألفاً، وظنوا أن النصر مرتبط بالعدد، فتباهوا بالكثرة وأعجبتهم، فعندما وصلوا إلىٰ «حنين» بين الطائف ومكة، وكانت هوازن قد كمنت لهم ففاجأوهم وانهالوا عليهم يضربونهم ضربة رجل واحد، فأصابهم الذعر والارتباك وتفرقوا، وفروا من النبي ﷺ، حتىٰ لم يبق معه سوىٰ ثمانين أو مائة وهو يناديهم:

«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب».

وينادیهم العباس رضي الله عنه: «يا أصحاب الشجرة ـ يقصد شجرة الرضوان ـ» حتىٰ انتبهوا وانعطفوا وهم يقولون: «لبيك.. لبيك».. فأنزل الله السكينة في قلوبهم واستقرت نفوسهم وعادوا يتجمعون حول الرسول ﷺ فكانت لهم الغلبة والنصر ـ بإذن الله تعالىٰ ـ.

إن الدرس الذي نأخذه من هذه الحادثة كبير، وهو خطورة

الاغترار بالكثرة ونسيان أن الناصر هو الله ـ تعالىٰ ـ، فقد نكون نحن الأكثر عدداً وعدة أمام الأعداء في أي صراع بيننا وبينهم، ولكن هذا الأمر يجب ألا يجعلنا نصل إلىٰ الغرور والاغترار بالكثرة ونسيان أن الذي بيده النصر هو الله ـ تعالىٰ ـ، وأنه بالإمكان أن ينتصر القليل علىٰ الكثير إن شاء الله، ولذلك وجب الحذر وإسناد الأمر لله ـ تعالىٰ ـ، مع بذلنا للأسباب.

أبو لهب

يروىٰ عن أحد كبار البعثيين في بداية حكمهم، أنه ولد له ولد، وأسماه «لهب» وأراد أن يربيه تربية تتلاءم مع اسمه، ولكي يكنىٰ بـ«أبي لهب»، فما ترك وسيلة من وسائل الشيطان إلا واستخدمها مع ابنه لغوايته وتنشئته تنشئة شيطانية، ولكن الولد ما إن عرف أن يميز بين الخير والشر، والصواب والخطأ، وقبل سن البلوغ، أصبح محباً للمسجد، ومن مرتاديه، وقد تعلق قلبه فيه أيما تعلق، فجن جنون ذلك البعثي الحاقد «أبو لهب»، كيف يهتدي ولده وقد أراده أن ينحرف، هدده فلم يخف، ضربه فلم يرجع، رغبه فزاد إيماناً، ثم خطرت له فكرة سهلة للانحراف، لقد قرر إرساله إلىٰ بريطانيا بمفرده ليكمل الثانوية العامة هناك، أرسله علىٰ أمل أن ينحرف، ولكن «لهب» ما إن وصل إلىٰ أرض الضباب حتىٰ بدأ بالبحث عمن يماثله في الصلاح، حتىٰ تعرف علىٰ مجموعة من الشباب الصالح، وعن طريقهم تعلم الدين، ومزيداً من الأخلاق، وتعمق بفهم الدين أكثر من ذي قبل، وكانت بريطانيا سبباً مهماً بمعرفته العميقة بالدين وشموليته، وعلىٰ معرفة باطل أبيه وما يعتقد من عقيدة باطلة، فراسل أباه وملأ الرسالة بالنصائح المصحوبة بالشفقة، وما إن

استلم الأب الرسالة حتى زاد جنونه، وخاف أن يكتشف أمر ولده وتكون الفضيحة، فقرر الذهاب له إلى بريطانيا حتى يثنيه عما سلكه من طريق الحق، استقبل لهب أباه، و-تعالى- الصياح، وهاج الأب وماج، ودخلا في جدال ساخن حتى رضخ الوالد لولده واقتنع بما يقول، وقرر التوبة على يد ابنه، كما قرر الهجرة من بلد الظلم إلى حيث يمارس العبادة لله دون اتهام.

هذه قصة حقيقية تواترت، وكتبت في بعض كتب التاريخ الحديث نسوقها لأولئك الآباء الذين يظنون أنهم يملكون الغواية لأبنائهم، وما دروا أن هذا ليس بأيديهم، وأن هذا خاص برب السموات والأرض ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ (فاطر: ٨) وليتذكر هؤلاء الآباء والأمهات الذين يصرون على ضلال وإضلال أبنائهم وبناتهم أن الله -تعالى- أخرج إبراهيم عليه السلام من صلب رجل كان يصنع الأصنام، كما أخرج من بيت فرعون زوجته المؤمنة، وندعوكم إلى التوبة إلى الله، والرجوع إليه، فإنها طريق السعادة في الدنيا والآخرة، ولا تضيعوا أوقاتكم بحرب الله، وبإطفاء نوره الذي لا يمكن إطفاؤه.

وهل يمكن أن تغطي الشمس بغربال؟.

أحس بضيق شديد

ذو منصب عال، في مؤسسة من أكبر مؤسسات الدولة، والمال ينبع من بين يديه ومن خلفه، ومع كل ذلك فلم يمنع هذا المالُ والمنصبُ الضيق الشديد من التسلل إلىٰ نفسه.

جاءني بتواضع جم إلىٰ مكتبي، وقرب مني، وخفض صوته كي لا يسمعه أحد، قائلاً: «أحس بضيق شديد في صدري، وبذلت كل شيء في تشتيته فلم أستطع، فالسفر إلىٰ أجمل بقاع العالم، وسماع الموسيقىٰ الكلاسيكية الهادئة، وشراء ما تلذ الأعين والأنفس لم يفعل شيئاً في إزالة هذا الضيق، فقد يزيله مؤقتاً، ولكن لا يلبث أن يعود بسرعة لأي خبر سيء أسمعه، أو تعامل لا يعجبني، فبالله عليك ماذا أفعل؟».

قلت له: هل تقرأ القرآن؟ قال: لا.

قلت: هل تذكر الله بالتسبيح والتهليل أثناء جلوسك أو مشيك؟ قال: لا.

قلت: هل تذهب إلىٰ المسجد؟ قال: لا.

قلت: لقد جربت سماع الأغاني والموسيقىٰ الكلاسيكية، وزيارة أطباء النفس، وجربت السفر، وغيره من الأمور فلم يغير

من هذا الضيق شيئاً، بل إنه يزداد يوماً بعد يوم، فهلا جربت ما أقول لك؟

قال لي: لا أعدك بالصلاة في المسجد أو الصلاة، ولكنني أستطيع أن أبدأ بما هو سهل عليَّ وهو قراءة القرآن.

غادرني صاحبي شاكراً للنصيحة، ثم عاد إليَّ في اليوم التالي مهلل الوجه، مبتسماً ابتسامة جعلت وجهه كله يبتسم.

قلت له: بَشِّر.. ما الأخبار؟

قال: ذهبت للبيت وتوضأت، ثم فتحت القرآن، وابتدأت بالقراءة في الصفحة الأولى، ومازالت الضيقة لم تغادرني فزدت الثانية والثالثة والرابعة والخامسة وأنا أحس بأن جبلاً ضخماً ينزاح رويداً رويداً عن صدري، حتى تسلل الفرح إلى داخلي، وشعرت براحة وطمأنينة لم أشعر بها طيلة حياتي، فقمت وصليت ركعتين لله، جعلتاني أوقن أن أموال الدنيا ومناصبها وزخارفها وما حوت من اللذائذ لا تساوي سجدة لله ـ تعالى ـ أناجي الله فيها، وأعترف بين يديه بتقصيري فأشعر أنه يقول لي: قم فقد غفرت لك.

إنني أشكرك من أعماق قلبي على نصيحتك.

ليلى والذئب (١)

لا أظن أن إنساناً عربياً أو أعجمياً لم يسمع بقصة «ليلىٰ والذئب» والتي غدت فيما أحسب قصة عالمية، وهي باختصار تحكي قصة فتاة صغيرة جميلة أعطتها أمها بعض الكعك لتوصله إلىٰ جدتها التي تسكن في طرف القرية، وأوصتها بعدم سلوك طريق الغابة الخطر، ولكنها خالفتها وسلكت طريق الغابة، مما جعلها عرضة للذئب الذي قابلها وهي في طريق الغابة، وسألها: عن وجهتها فأخبرته أنها تريد بيت جدتها، فسبقها وافترس جدتها، ولبس ثيابها ثم نام علىٰ سريرها، وبعد فترة جاءت ليلىٰ فاستغربت طول يديه وأنفه، وسعة عينيه، وأخذت تسأله عن كل هذا، حتىٰ وصلت في أسئلتها إلىٰ سعة فمه، فأجابها قائلاً: لآكلك به، وانقض عليها؛ ليفترسها لولا مجيء الأب الذي أنقذها من بين مخالبه ثم أجهز عليه.

هذه القصة رغم أنها مازالت تروىٰ للأطفال، إلا أنه ينبغي أن تُروىٰ للكبار، خاصة في المرحلة الراهنة التي نمر بها في عالمنا العربي والإسلامي، وذلك لما تحمل من معانٍ عميقة، ودلالات ينبغي أن يتنبه لها العقلاء.

فالذئب.. يمثل في مرحلتنا الراهنة «اليهود».

وليلىٰ . . تمثل العالم الإسلامي والعربي بصفة خاصة .

والأم . . تمثل الإسلام الذي نبه المسلمين منذ أربعة عشر قرناً بحقيقة اليهود، وأسرار طبائعهم، والذي نهانا عن ولائهم أو تصديقهم .

والجدة . . تمثل ضحايا العالم العربي والإسلامي .

وجمال ليلىٰ . . يمثل خيرات الدول العربية وموقعها الاستراتيجي .

والأب . . يمثل المخلصين من هذه الأمة، والذين ما فتئوا يذكرون قومهم بخطورة الذئب، وبضرورة الالتفات إلىٰ حقيقته، وتنبيههم من عدم الاغترار بالأقنعة والثياب والمساحيق والديكور الذي يستخدمه الذئب لإخفاء صورته الحقيقية .

فهل تصدق «ليلىٰ» ما تقوله الأم، وما يقوله الأب لها؟ أم أنها تكون ضحية الأكاذيب والمساحيق والديكور الذي يستخدمه الذئب لإخفاء مخالبه وأنيابه؟ وهل يتحرك الأب بقوة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من مخالب الذئب، أم أنه سيخشىٰ أن يُتهم بـ«الإرهاب» فيمتنع عن الإنقاذ؟

كل الذي نتمناه ألا تنطلي أكاذيب الذئب علىٰ «ليلىٰ» وألا يمنع الأب من إنقاذ ابنته، وإذا حدث المنع ـ فالمفترض ـ ألا يكون علىٰ أيدي أقرباء «ليلي» .

ليلى والذئب (٢)

حقيقة هذا الذئب لم تقتصر معرفتها علينا فحسب، بل إن كثيراً من العلماء والعقلاء والسياسيين في العالم كانوا يعرفون حقيقة هذا الذئب الأغبر، ومن بين أبرز هؤلاء العارفين «وليم كار» والذي فضحهم في كتابه «أحجار على رقعة الشطرنج» والذي يعتبر من أبرز الكتب السياسية، إذ يقول فيه:

«اتخذ طرد اليهود من إسبانيا أهمية خاصة، إذ إنه يلقي الضوء على محاكم التفتيش الإسبانية، ذلك أن العديد من الناس في أوروبا كانوا يظنون أنها أسست من قِبَل الكنيسة الكاثوليكية بهدف تعذيب واضطهاد المنشقين على كنيسة روما، ومنهم البروتستانتيون فيما بعد، أما الواقع فهو أن من أهم الأهداف التي قصدها البابا «إيتوسنت الثالث» من إنشائها هو جعلها وسيلة لكشف فئة من اليهود الذين لجأوا إلى التظاهر باعتناق المسيحية، والعمل تحت هذا القناع لتهديمها من الداخل، وقد شعرت الكنيسة بوجود مؤامرة من هذا النوع، ولمست انتشار البدع والخرافات على شكل واسع، وبشكل يومي بوجود تنظيم خفي منسق يهدف إلى تقويض دعائم المسيحية، وتكمن في عدة

حالات تقصي الأثر، واكتشاف المخادعين الذين انكشفت مسيحيتهم المزيفة.

كما تم العثور على نص الرسالة الجوابية التي أرسلها الحاخام الأكبر لليهود المقيم حينذاك في (الآستانة) عاصمة الخلافة العثمانية - في ظل التسامح الإسلامي - أرسلها إلى الحاخام «خيمور» رئيس الجالية اليهودية، وأرسلت بتاريخ ١٣ كانون الثاني ١٤٨٩م تعليماته التي ينصح فيها مستشاريه باتباع أسلوب «حصان طروادة» الشهير، أي الدخول إلى حصن أعدائهم خلف قناع، كما فعل محاربو اليونان القدامى، الذين دخلوا مدينة طروادة المحاصرة مختبئين داخل حصان خشبي ضخم، أو بتعبير أوضح جعل أبناء اليهود قسساً مسيحيين، ومعلمين، ومحامين، وأطباء، وغير ذلك لكي يتمكنوا من تحطيم المسيحية من الداخل»(١).

هذه هي صورتهم الحقيقية التي يكشفها «وليم كار» ولم يقتصر خداعهم هذا في إسبانيا فحسب، بل في كل مكان في العالم.

فالتاريخ يخبرنا: أنهم لما جاءوا إلى جزيرة العرب وجاء

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج، ص ٦٦.

الإسلام أدخلوا رجلاً يسمىٰ «عبدالله بن سبأ» وتظاهر بالإسلام ليحطم عقيدة المسلمين من الداخل، وأدخلوا كثيراً منهم في المجموعات الصوفية والمعتزلة وغيرها من الفرق الضالة ليبتدعوا الكثير من الخرافات؛ لتقويض الإسلام.

وكذلك استمروا بنفس الخط مع المسيحيين، ولا يستبعد أن قرار الفاتيكان الأخير بتبرئة اليهود من دم عيسىٰ عليه السلام كان بتوجيه من بعض القساوسة الذين يعلنون في الولايات المتحدة والدول الأوروبية بين آونة وأخرىٰ مساندتهم للشذوذ الجنسي ودخولهم فيه، لا يستبعد أن يكونوا من أصل يهودي.

وصدق الله العظيم إذ قال عنهم:

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (البقرة).

نسأل الله العظيم ألا تنخدع «ليلىٰ» بمساحيق الذئب، وأن ترىٰ بعين بصيرتها قبل عين بصرها مخالبه وأنيابه، وألا تنسىٰ دم جدتها الذبيحة، وإلا فإن مصيرها المحتوم هو القتل، فلا مكان في هذا العالم للحمقىٰ أو المغفلين.

دروس من غزوة بدر (١)

عن عبادة بن الصامت قال: خرجنا مع النبي ﷺ وشهدتُ معه بدراً، فالتقى الناس، فهزم الله العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يطاردون ويقتلون، وأكبت طائفة على المغنم يحوزونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ كي لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل، وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها، وليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم أحق بها منا، ونحن نحينا منها العدو وهزمناه، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به، فأنزل الله ـ تعالى ـ:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ (الأنفال).

فقسمها رسول الله ﷺ بين المسلمين.. انتهى.

هذه القصة الرائعة من السيرة النبوية، نستشهد بها،

لنستلهم منها العبر، ففي هذا النقل يتبين لنا كيف أن الجيل الفريد المثالي، وخير أمة أخرجت للناس وخير القرون التي خلقها الله ـ تعالىٰ ـ يتصرفون هذا التصرف الذي لا يتسق وتلك الصفات المثالية التي فيهم، لكنهم ما إن سمعوا بالآيات تتلىٰ حتىٰ التزموا جميعاً بما أراد الله ـ تعالىٰ ـ، فليس من العيب أن يخطئ المرء، ولكن العيب، والحماقة أن يصر علىٰ خطئه مع علمه أن ذلك خطأ.

فالخطأ والضعف والكسل والنسيان كلها صفات بشرية حدثت في أفضل أصناف البشر من الصحابة رضي الله عنهم، ولكن العيب الحقيقي هو العناد بالبقاء علىٰ الصفات المعوجَّة دون محاولة للأوبة إلىٰ رب العباد، وتصحيح المسار، ولهذا السبب فتح الله باب التوبة للجميع ولن يغلقه حتىٰ اللحظات الأخيرة من عمر الإنسان حيث لا تُقبل توبة في وقت الاحتضار، هذا بالنسبة لعمر الإنسان، أما عمر الأرض فلن يغلق باب التوبة حتىٰ خروج أول علامة من علامات القيامة الكبرىٰ، وهي خروج الشمس من المغرب ـ كما صح في الحديث ـ.

دروس من غزوة بدر (٢)

بينما كان الرسول ﷺ ينظم صفوف الجيش استعداداً للمعركة، إذ بأحد الجنود من الصحابة اسمه «سواد» كان متقدماً بعض الشيء فأرجعه الرسول ﷺ إلى الصف بعصا صغيرة كان يمسكها، فصاح ذلك الجندي: أوجعتني يا رسول الله، فوقف الرسول ﷺ أمام ذلك الجندي وأعطاه العصا، وكشف عن بطنه الشريف وقال للجندي: «اقتد لنفسك» أي خذ حقك مني بيدك، فما كان من الجندي إلا أن طوق الرسول ﷺ بكلتا يديه وأخذ يمرغ وجهه ببطنه، حتى إذا ما انتهى قال له رسول الله ﷺ: «ما دعاك أن تفعل ما فعلت» فرد عليه: يا رسول الله، لقد علمت ما نحن مُقدمون عليه فأردت أن يكون آخر لقاء بيني وبينك أن يمس جسدي جسدك.

في هذه الحادثة الجميلة من غزوة بدر نستطيع أن نقف عدة وقفات، منها: أن القائد عندما يتنازل لمن ولاه الله عليهم، ويحتك بهم، ويتواضع لهم، ويمازحهم، ويعدل بينهم في المعاملة فإنه يكسبهم ويكسب ثقتهم به، مما له أكبر الأثر بسير المؤسسة.

وعندما يعترف القائد في أي موضع كان بخطئه، ولا يكابر ولا يقهر من يبين له ذلك الخطأ، ويعاقبه، إنما يشكره على توضيح الخطأ، ويطبق اللوائح والقوانين حتى لو كان هو المتضرر بها، فإنه بذلك يكسب المصداقية والمحبة والاحترام من جميع أفراد المؤسسة، وهذا يدفعهم للتفاني من أجل إنجاح المؤسسة لأنهم يرون القائد أمامهم قدوةً في كل شيء فهم يقتدون به.

لقد تقدمت المؤسسات في الولايات المتحدة والدول الأوروبية واليابان؛ لأنها تطبق القوانين على الجميع دون تفرقة، ولأن أصحاب القرار يعترفون بأخطائهم عندما تقع، ولو كان المتضرر هو الوزير أو غيره، ويضطر أحدهم للاستقالة من منصبه تعبيراً عن الاعتراف بالخطأ وعقوبة لنفسه على الخطأ الذي حمله للمؤسسة.

فهل نعتبر من غزوة بدر؟

أخطر سلاح على الأرض

تروي قصص التراث أن رجلاً ذا عيال بات ثلاثة ليال من غير طعام لشدة ما يعاني من فقر، فحثته زوجته للتوجه للبحر لعل الله يرزقه شيئاً، فذهب بشبكته إلى البحر، واستمر بقذفها ثم سحبها دون نتيجة حتى قاربت الشمس على الرحيل، وقبيل عودته إلى البيت، وهو يسحب شبكته، وإذا بسمكة كبيرة تتعلق بشبكته لم ير سمكة في حجمها، ففرح بها فرحاً أنساه كل ما عانى في الأيام الخوالي، وانطلق خياله يتصور كيف يستقبله العيال والزوجة بهذه المفاجأة الكبيرة؟ وكيف سيسهرون ليلتهم هذه حول القدر وهو يغلي بما فيه من رزق؟ وبينما هو يسبح في خياله وإذا بملك كان يتنزه على الشاطئ آنذاك، يقطع أحلامه ويسأله عما بيده، فيخبره بما رزقه الله، فيأخذها منه عنوة دون أن يعطيه شيئاً أو حتى يقول له كلمة طيبة، ورجع بيته منكس الرأس حزيناً، تملأ الدموع مقلتيه، منعقد اللسان لا يقوى على أن يتفوه بكلمة واحدة لعياله وزوجته.

بينما ذهب الملك إلى القصر متباهياً، مفتخراً أمام الملكة بهذا الصيد العظيم، وبينما هو يعرض السمكة أمام الملكة، وإذا

بشوكة تصيب إصبعه، فيتألم على أثرها، ثم لم يلبث أن أصابه الورم مع اشتداد الألم، حتى أطار منه النوم، ومرت عدة ليال وهو يصيح من الألم حتى اجتمع أطباء القصر، واقترحوا قطع الأصبع، فلم يوافق، ثم صعد الألم للذراع، واستمر معه لعدة أيام، وقرر الأطباء قطع الذراع - حسب علمهم آنذاك - فوافق بعدما ازداد عليه الألم، وعندما قطعوها شعر بالراحة الجسدية، إلا أن ألماً آخر بدأ يصاحبه، وهو الألم النفسي، واجتمع بمستشاريه فأشاروا عليه بأن ما يلاقيه بسبب «ظلم» فتذكر - حالاً - قصته مع الصياد الفقير، وأمر حالاً بالبحث عنه والإتيان به في أسرع وقت، وبعد بحث في المدينة عثروا على الصياد الفقير، ودخل القصر بثيابه الرثة، وهيئته المنكسرة، فقال له الملك: هل تعرفني؟

الفقير: نعم أنت الذي أخذت مني السمكة.

الملك: أريد منك أن تحللني.

الفقير: أنت في حل.

الملك: ولكنني أريدك أن تخبرني، ولا تخف عني، ماذا قلت عندما أخذت منك السمكة؟

الفقير: رفعت طرفي إلى السماء وقلت: يا رب إنه أراني

قدرته عليَّ، فأرني قدرتك عليه.

هذه القصة التي ترويها كتب التراث تكشف عن سلاح من أخطر الأسلحة إن لم يكن أخطرها على الأرض، وهو لا يُباع بثمن، بل هو معروض مجاناً لمن أراد أخذه واستعماله، وفي أي وقت شاء، ولكنه يكون أكثر فتكاً إذا كان بيد «مظلوم» ألا وهو «سلاح الدعاء».

أيها الظالمون تذكروا أن هذا السلاح متاح للجميع وتذكروا أن المظلوم يستطيع الفتك بكم عندما يستخدم هذا السلاح، فكونوا على حذر.

يقول النبي ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام، يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين»(١).

ويقول الرسول ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافراً، فإنه ليس دونها حجاب»(٢).

فعامل النظافة الذي لا يتسلم راتبه لشهور مظلوم.

والزوجة التي تحرم من أبسط حقوقها مظلومة.

---

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني (ص ج ص ١١٧).
(٢) رواه الإمام أحمد وحسنه الألباني (ص ج ص ١١٩).

والابن الذي يلاقي فرقاً في المعاملة وفي إعطاء الحقوق من الوالدين مظلوم.

والموظف الكفء الذي لا يُرقّى، ويرقى غيره بسبب الواسطة مظلوم.

ومظلومون آخرون يمتلئ المجتمع بهم، فليتق الظالمون دعوة هؤلاء عليهم.

وصدق من قال:

لا تظلمنّ إذا ما كنت مقتدراً

فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

تنامُ عيناكَ والمظلومُ منتبهٌ

يدعو عليك وعين الله لم تنم

الهاتف القاتل

في السنوات الأولى من الثانوية، وعلى مقعد الدراسة، وقع نظرها على اسم مرسوم على كتاب زميلتها الملاصقة، فسألتها عن هذا الاسم، فأجابت الزميلة، هذا اسم حبيبي . . !

الفتاة: وكيف عرفتِه ؟

الزميلة : من التليفون.

الفتاة: كيف . . .

الزميلة : صح إنك غشيمة، ونايمة على وجهك، إننا نجرب أي رقم فإذا ما خرج لنا شاب كلمناه، وربطنا معه صداقة، وإذا رأيناه قبيحاً تركناه لمحاولة أخرى حتى نعثر على الجميل وذي الكلمات الحلوة . . !!

الفتاة : وهل علاقتكم بالتليفون فقط؟

الزميلة: حرام عليك تشكين في . . طبعاً بالتليفون، وما هو إلا تضييع وقت ووناسة . . !

ذهبت الفتاة إلى البيت وحاولت أن تجرب حظها، وكان على الجانب الآخر ذئب من ذئاب المجتمع، استطاع أن يوقعها

في حبه، ولكنها لم تكتف بذلك، فحاولت مرة ثانية وثالثة ورابعة. . . إلخ، حتى غدت منافسة لزميلاتها بكثرة المعجبين بها وحيازتها للكثير من الأرقام، وسرت هذه العادة الخطرة في دمائها، فلا تجدها إلا في غرفتها وقد أغلقت عليها الباب لساعات طويلة تتحدث بالهاتف، تنتهي من فلان، وتعلق بآخر، ولا تنام إلا قريباً من الفجر.

وتقدم لأهلها أحد الخطاب، وكان رجلاً لا ينقصه شيء فأعجبت به، وأعجب به الأهل، فوافقوا على زواجه منها، كما كانت هي موافقة.

ولكنها لم تترك تلك العادة السيئة، وما إن انقضى شهر العسل حتى عادت ريمة إلى عادتها القديمة.

لاحظ عليها أخو زوجها «حموها» واستيقن من ذلك عندما رفع الطرف الآخر من الهاتف، وسجل مكالماتها مع أصدقائها لمدة شهر، وبعد ذلك أتى بالشريط وهددها بها، توسلت إليه أن يعطيها الشريط فوافق على شرط قبول «فعل الحرام» معه فوافقت وحدث الحرام، ولكنه لم يعطها الشريط، وابتزها به عدة مرات، ثم هددها بكشف السر أو توافق على «فعل الحرام» مع صديق له ـ هذه المرة ـ!

وتحت التهديد وافقت وأخذها لصديقه . . وعاد الزوج فلم يرها بالبيت، وفات وقت العصر، فالمغرب فالعشاء، ثم فجر اليوم الآخر ولم تعد . . . !

خاف «حموها» فاتصل بصاحبه يستخبر عنها، فأخبره بأنه لم يطفئ غليله بعد وقد فعل الحرام مراراً وأخبره بأنه لو أتىٰ بها الآن لفضحتهم، وهنا دخل الشيطان واقتنع الاثنان بضرورة التخلص منها وقاما فعلاً بقتلها ودفنها . . !

وبعد ذلك اكتشف أمر شقيق الزوج وقبض عليه وعلىٰ صاحبه، ولكن بعد أن «وقع الفأس بالرأس» ومرغت سمعة عائلة الزوجة والزوج معاً في التراب، وأصبح أفرادها لا يقوون علىٰ مواجهة أحد في المجتمع!

هذه قصة من الواقع وليس من الخيال، سببها التربية الخاطئة للبنات، وإعطاء الحرية الكاملة دون رقابة، ودون غرس للقيم، وغرس للخوف من الله، ومعاني الحياء، كما أنها درس لمن يختار الجمال وحده علىٰ الدين والقيم، وجرس إنذار ينبه أولياء الأمور من الصحبة السيئة لأبنائهم وبناتهم . .

فهل نتعظ ونحذر ؟ .

جولة بين شواهد القبور

توفي أحد الأصدقاء فذهبنا للمقبرة لتعزية أهله، فانتهزت الفرصة لزيارة قبر والدتي رحمها الله، وجلست إلىٰ جانب القبر أدعو لها، وتخيلت كأنما تخاطبني فأردت أن أُجري معها هذا الحوار:

قلت: في الدنيا عندنا يتفاوت الناس ويتفاضلون فيما بينهم بعدة أمور، منها: الأصل، والمنصب، والمال، والشهادة، والخبرة، والجمال، والقوة، وغيرها من الأمور، فهل يتفاضل الناس عندكم بهذه الأمور؟

قالت: عندنا يا بني عالم آخر غير عالمكم، فالكل عرايا إلا ما يستر جسدهم من الأكفان البيضاء التي لا تلبث أن تمزقها الديدان، ولا فرق بين التاجر المليونير والفقير، ولا بين صاحب المنصب الكبير والوضيع كلهم سواء في ذلك، والدود لا يفرق بين هذا وذاك، والناس يتفاضلون فيما بينهم بالتقوىٰ فقط، وتسقط عندنا ههنا كل أموركم التي تتفاضلون فيها عدا التقوىٰ، فالأتقياء هم الملوك هنا.

قلت : وهل يعرف الناس عندنا هذه الحقائق ؟

قالت : نعم يا بني يعرفونها حق المعرفة، ولكن المال يعمي، والمنصب يعمي، والجاه يعمي، ألم تسمع يا بني قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝٧﴾ (العلق)، إنهم ينسون أو يتناسون هذه الحقائق التي أرويها لك من هذا العالم الذي أنا فيه .

قلت : هل تسمعين بأخبارنا ؟

هل تسمعين بالأرقام الفلكية التي تسرق من استثماراتنا، ومن المناقصات الكبيرة؟

هل تعلمين بأننا نعرفهم ونراهم ولا نستطيع القبض عليهم؟

لقد مات اللص «فلان»، ومات اللص «فلان» واللص «فلان» . . أخبريني عنهم هل جلبوا ما سرقوا إلىٰ عالمكم؟

قالت : لا يقدم علينا أحد ومعه فلس واحد، فالأموال تقسم علىٰ الورثة، أو يسرقها سارق آخر .

قلت : أخبريني يا أماه . . لماذا يستحل بعض الناس الظلم؟ ولماذا يصر بعض آخر علىٰ ترك ما أمرهم الله من تحكيم شرعه؟ ولماذا يتركون الصلاة، والصيام، والزكاة دون أن يروا في ذلك

غضاضة؟

قالت: لو رأىٰ هؤلاء أهوال ما يحدث عندنا لأمثالهم لحظة واحدة، لأصبحوا أشد زهداً من علي بن أبي طالب، والفضيل من عياض، ورابعة العدوية.

قلت: أينكر بعض الناس أن آلته ستتوقف حتماً يوماً من الأيام؟

قالت: لا يستطيع إنسان كائناً من كان أن ينكر هذه الحقيقة، ولكنه عندما يقدم علىٰ جرائمه فإنه يستبعد هذا التوقف، خاصة إذا كان يملك المال والصحة والمنصب.. بالرغم من قول الله تعالىٰ في أعماق قلوبهم:

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ (الجمعة).

وبينما أنا في محاورتي إذا بالإسعاف تمر من جانبي حاملة جثة العزيز، فقطعتُ محاورتي لألتحق بركب المعزين.

ليس فيلماً هندياً

ما سأرويه لكم ليس فيلماً هندياً، وليس هناك من أبطاله أحد من عائلة «كومار» بل إن بطله شاب وُلِدَ على أرض عربية في بداية الأربعينيات، ليس بحثاً عن الرزق، إذ إن ذلك البلد في تلك الأيام يعتبر من أفقر دول المنطقة، بل جاء هرباً من بطش حاكم بلده، والذي لم يمنحه حتى ما يثبت انتماءه، وحفاظاً على ما تبقى له من الأبناء، وصيانة لكرامته، جاء آنذاك، ولكن خطأه الرئيس هو أنه سعى للآخرين ليأخذوا الجنسية، بينما نسي نفسه، لأنه كان ضامناً لأخذها، ومرت الأيام، وإذا به يجد نفسه ضمن من أُطلق ـ بضم الهمزة ـ عليهم «غير محددي الجنسية» ومن هنا بدأت «المأساة المتشعبة» نشأ أحد أبناء ذلك الرجل والذي هو بطل قصتنا، وعليه علامات النبوغ المبكر، فقد ولع بقراءة كل ما يتصل بالطائرات الحربية، والاطلاع على كل جديد في هذا المجال، وما إن انقضت سنة التخرج من الثانوية العامة حتى كان قد أتى على نهاية الكتاب الأول الذي ألفه في الطائرات المقاتلة، فتلقفته «إحدى المؤسسات العلمية» وطبعته على حسابها، لما فيه من التميز، وتقدم للجهات المعنية ومؤهله

شهادته الثانوية، وهذا الكتاب الفريد لتحقيق رغبته حتىٰ يصبح «طياراً»، ولكن أوصدت الأبواب أمامه بسبب عدم وجود الهوية، وحاول ثانية عن طريق «الواسطة» وكذلك أوصدت الأبواب في وجهه، فاتجه إلىٰ السفارة الأمريكية وقابل السفير وهو يحمل الكتاب، فتعجب السفير مما في الكتاب وانتبه لنبوغه، وبعد أسبوعين من المقابلة فقط كان في الولايات المتحدة ليستقبله ممثل من إحدىٰ القواعد العسكرية، وتسهل له جميع الأمور للدراسة في أرقىٰ جامعات أمريكا ليتخرج بعدها مهندساً في سلاح الطيران الأمريكي بعد أن تزوج ابنة أحد كبار الجنرالات في الجيش الأمريكي.

سأله أحد الصحفيين عام ١٩٨٨م: هل ستقاتل أخاك العربي إذا دارت حرب بين أمريكا والدول العربية؟

توقف قليلاً وقال بنبرة مليئة بالحزن: «قد يأتي اليوم الذي أجد فيه نفسي مجبراً علىٰ قتل أخي أو العكس، ولكن أمريكا بلد عرف معنىٰ الحرب، وقيمة الإنسان، وتراعي مشاعر الإنسان حتىٰ في الموت وأسبابه، وأتوقع ألا ترسلني أمريكا إلىٰ حرب طرفها الدول العربية حتىٰ لا أقتل شقيقي لاعتبارات عسكرية وأخرىٰ إنسانية».

وسأله ذلك الصحفي سؤالاً آخيراً بعد تخرجه وزواجه:

«ماذا لو دعاك وطنك الأصلي»؟

فقال: وطني هو الولايات المتحدة، وسأبني هذا الأصل الجديد في نفوس أبنائي وأحفادي حتىٰ أكون وفياً للوطن الذي منحني ما أريد.. منحني الكرامة، والإنسان لن يعيش في هذه الحياة إلا مرة واحدة.. ولا يملك الخيار في ذلك، لذلك فإن وطني الأصلي هو «حق في نفسي» أحترمه وتحترمه حتىٰ الولايات المتحدة التي لم ترغمني علىٰ تغيير اسمي العربي الذي يحمل اسم «الله»، وطبعته بالحروف علىٰ جوازي وجنسيتي بكل احترام وتقدير، وسيبقىٰ وطني الأصلي صورة في غاية الجمال، وحباً يسري في عروقي إلىٰ الأبد، وسأقص لأحفادي في يوم من الأيام قصة وطني الأصلي وذكريات الطفولة، ولكن سأتجنب أن أشرح لهم سبب رحيلي.

واتقطعت أخباره عنا حتىٰ جاءت الأزمة التي حدثت بين بلده الذي ولد فيه وبلد مجاور.. لقد عاد إلىٰ موطنه الذي ولد فيه ولكن مع طلائع الجيش الأمريكي، عاد ضمن نسور الجو الذي جاءوا ليخلصوا بلاده من المعتدي، وها هو فوق سماء الأرض التي ولد فيها وترعرع، يمسك العبرات والدموع أن تنفجر لكي لا يفضح أمام زملائه الطيارين.

يبلع الحزن الممزوج بفرحة العودة ولكن من البوابة الأخرىٰ.

قبل فوات الأوان (١)

كان شاباً ضائعاً، مستهتراً بكل القيم، لا يتورع عن اقتراف أية معصية ، يعيش كما يعيش كثير من الشباب من غير هدف في هذه الحياة، وكأنه لا يموت غداً، لا يعرف في هذه الحياة سوىٰ «الشهوة» يغدو ويروح من أجلها، اتفق مع صاحب له من طينته نفسها للسير سوياً لمشاهدة الفيلم الذي تعرضه سينما (. . .) واتفق معه علىٰ انتظاره قرب دوار (. . .) وأثناء انتظاره لصاحبه مر عليه صديق قديم دون أن يعرف من ذلك الشخص الذي أوقف سيارته خلف سيارته، وماذا عساه يريد؟ وبعد إلقاء التحية سأل ذلك الصديق:

- هل تعرفني؟

* آسف. . لا أعرفك.

- انظر جيداً في ملامحي!

* أوه. . هل أنت فلان الذي درست معي في الابتدائية؟

- نعم أنا هو بلحمه وشحمه.

تعانق الاثنان، وأخذا يتذكران أيام الماضي بحلوها ومرها، ثم سأله ذلك الصاحب الذي تبدو على ملامحه التدين:

- ماذا تنتظر هنا؟

* أنتظر صديقاً لي للذهاب إلى السينما.

- لماذا لا تأتي معي إلى بعض الأصدقاء لتفطر معنا وحتى نعوض ما فاتنا من الأيام؟

* إذا لم يأتي صاحبي فسأذهب معك.

فات الموعد المتفق عليه ولم يأت صاحبه، فقرر الذهاب مع ذلك الصاحب القديم مجاملة له، وعندما وصلا إلى مكان الإفطار، رأى لأول مرة في عمره شباباً في عمره لا يجتمعون على معصية، بل على طاعة من طاعات الله، وكلهم صائمون في غير رمضان، وقد علت على محياهم سيماء الصلاح، وكل منهم رحب به دون أن يعرفه من قبل، والابتسامة لا تفارق وجهاً من وجوههم.

قبل فوات الأوان (٢)

انطلق صوت أحد أولئك الشباب بأذان المغرب، يختلط مع صوت الأمواج الهادئة التي كانت قريبة من «الشاليه» الذي كانوا يفطرون به، وإذا بأحدهم يقدم لصاحبنا تمرة، فقال له: شكراً، ولكني لست بصائم.

قال له صاحبه: ما عليك!، مجرد مشاركة معنا... أقيمت الصلاة فدخل معهم في الصلاة لأول مرة ـ منذ أن تركها ـ قبل فترة طويلة ـ وبعد الصلاة قام أحد الشباب بإلقاء خاطرة إيمانية دخلت كل كلمة فيها إلى أعماق قلبه، وبعد الإفطار استأذن من صاحبه ليعود إلى البيت، كان يفكر في هذا الجمع الطيب، وتلك الكلمات التي لم يسمع مثلها من قبل، أو ربما سمع مثلها كثيراً، ولكن لأول مرة يسمعها بقلب متفتح، فكان يحاسب نفسه أثناء قيادته سيارته إلى متى أظل على هذا الطريق؟

أما آن الأوان للاستقامة؟ ما المانع من ذلك؟

وصل إلى البيت مبكراً على غير عادته، تعجبت زوجته من قدومه المبكر، وعندما سألته قص عليها ما جرى له.

وفرحت زوجته، واستبشرت بقدوم أيام الفرح، بعد أن أحال أيامها كلها منذ أن تزوجته حزناً يولد حزناً، بسبب ما يقترف من المعاصي وما يعاملها به من القسوة.

صحا من النوم الساعة الثانية قبل الفجر بمدة طويلة، توضأ وأخذ يصلي مناجياً ربه، ويستغفره عن الأيام الخالية، يطيل في السجود والقيام حتىٰ أذن الفجر.

استيقظت زوجته، فرأته ساجداً، فرحت كثيراً بهذا التغيير، واقتربت منه منتظرة انتهاءه من الصلاة، ولكنه لم يقم من سجدته، فوضعت يدها عليه مخاطبة: بوفلان شفيك؟

ولكنه بدل أن يجيبها سقط علىٰ جنبه، لقد وافته المنية وهو ساجد يناجي ربه.

ليلة في كفن البحر (١)

قمت بزيارة لأسرة الخشرم الذين أنقذهم الله تعالىٰ منذ أيام(١) بعد تحطم طرادهم(٢) في ليلة عاصفة شديدة البرد، بدا واضحاً التأثر الإيماني الكبير علىٰ الأشقاء الثلاثة، والشعور بالمنة العظيمة من الله ـ تعالىٰ ـ، الذي كان معهم في كل لحظة من لحظات المعاناة، التي استغرقت تسع ساعات بين الحياة والموت في كفن البحر.

بدأ الشقيق الأكبر حديثه وقد بدت بعض الجروح علىٰ يديه قائلاً: ما أعظم حكمة الله ـ تعالىٰ ـ، حيث يتيح لعبده الفرصة تلو الفرصة علىٰ صورة بلاء، ليكون سبباً في العودة إليه، والانتباه من غفلته، فإن كان من العقلاء استفاد من هذه الفرصة، وجعلها سبباً في استقامته، وإن كان أحمق فإن الفرصة تلو الفرصة تمر عليه ولا يستفيد منها، ونرجو أن نكون ممن استفاد من هذه التجربة العظيمة والبلاء الذي شارفنا فيه علىٰ الموت فأعادنا الله إلىٰ الحياة.

---

(١) في منتصف التسعينات.

(٢) قارب صغير يستخدم لصيد الأسماك.

ذهبنا كعادتنا (للحَدَاق)[١]، ورمينا شباكنا، وشعرت بالتعب فأردت أن آخذ قسطاً من الراحة فنزلت إلى «الخن»[٢] فتبعني - بعد مدة قصيرة - أخواي، ولم أستيقظ إلا على صراخ أخوي وهما يقولان: الماء.. الماء.. دخل الطراد.. قمت مذعوراً، وإذا بالجو قد انقلب رأساً على عقب، وانقلب الهدوء إلى عاصفة، وأمواج تصفع طرادنا ميمنة وميسرة، ولم تمهلنا هذه الأمواج المتلاحقة فترة للتفكير، حتى تدافع الماء وملأ الطراد، فصعدنا إلى الأعلى في ظلام دامس لا يكاد بعضنا يرى يديه، وما هي إلا لحظات حتى شعرنا بالطراد وكأن ماردا يجذبه للأسفل، ونحن نغوص معه في الماء، وخشينا أن ينقلب علينا، فقفزنا منه، كل في جهة، لا يرى أحدنا أخاه!.

(١) أي صيد أسماك باللهجة الكويتية.

(٢) جوف القارب الصغير للراحة.

ليلة في كفن البحر (٢)

يكمل الشقيق الأكبر - من عائلة الخشرم - قصة الحادث الذي أنجاهم الله منه بعد تسع ساعات في البحر بين الحياة والموت فيقول: بعد أن قفزنا من الطراد خوفاً من انقلابه علينا، واتجه كل واحد منا لجهة، ما لبثت مقدمة الطراد أن برزت للأعلى، فتنادينا لنتجمع حولها، ونتمسك بها، وما إن تجمعنا حتى رأى أحدنا نوراً أحمر من بعيد، فقال: «هذه بوية[١] عوهة[٢]» وطلب منا أن نسبح إليها، أدركت أنه اختيار الموت المحقق، فنهيتهما عن هذا القرار، ولكنهما أصرا، فلما رأيت إصرارهما، ادعيت ألماً في قلبي فخشيا عليَّ وعدلا عن قرار السباحة، في هذه الأثناء مر علينا شريط حياتنا كأنه فيلم سينمائي بما فيه من الحسنات والسيئات، وأحسسنا أنها اللحظات الأخيرة في حياتنا، فقلت لأخي: إذا مت فأوصيك بأبنائي، وأوصاني هو الوصية نفسها، وأوصانا أخونا الثالث الوصية نفسها، وبينما نحن كذلك إذ مر من بعيد «محمل[٣]» فصرخنا من غير شعور

---

(١) البوية هي منار بحري لتنبيه السفن.

(٢) عوهة: جزيرة كويتية.

(٣) سفينة صغيرة.

بأعلىٰ أصواتنا وأشرنا له بأيدينا دون فائدة، فانخرطنا بالبكاء والصراخ، ولا أتذكر بأي شعور كنا نعيش، فتارة نصرخ، وتارة نصمت.

سألت أحد إخواني في أي ساعة نحن الآن؟ فقال لي: الساعة الآن تقترب من الخامسة صباحاً، وبعد هنيهة صاح أخي الصغير: هل تذكرون أن الآن هو موعد صلاة الفجر، وقد قرأت منذ زمن بعيد بأن الله ـ تعالىٰ ـ ينزل إلىٰ السماء الأولىٰ في مثل هذا الوقت الذي يسبق الفجر فينادي: «هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟» فلماذا لا ندعو فلعل الله يستجيب لنا؟

وما هي إلا لحظات حتىٰ انخرطنا بالدعاء بمشهد إيماني يرتجف له القلب، ونحن نرفع أيدينا للسماء في حلكة الليل، وانبلاج أول نور للفجر بقلوب متجردة لا ترىٰ في مثل تلك اللحظات الحرجة غير الله ـ تعالىٰ ـ، فناديناه: يا رب. يا رب.

ليلة في كفن البحر (٢)

ينهي الشقيق الأكبر ـ من عائلة الخشرم ـ قصة المأساة التي عاشوها في البحر لمدة تسع ساعات من العذاب، بعد تحطم طرادهم أثناء نومهم فيه، فيقول: رفعنا أصواتنا نلهج بالدعاء ـ عند الفجر ـ، والأمواج تعبث بنا، والظلام يلفنا بثوبه الأسود، ونصفنا في الماء والنصف الآخر متعلق بمقدمة الطراد. . ونحن نصيح: يا رب. . يا رب نسألك الثبات، اللهم ثبت أقدامنا ونسينا كل شيء إلا هذا الدعاء، وكأن يونس عليه السلام أمامنا وهو في ظلمة بطن الحوت، وظلمة أعماق البحر، ولم ينس الاستعانة بالله ـ تعالىٰ ـ، وهو يقول: «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنتُ من الظالمين»، فأنجاه الله من بطن الحوت.

لقد كنا نشعر بأن الله ـ تعالىٰ ـ يقول لنا: اطلبوا ما شئتم فإني مستجيب لكم، فشعرنا بعد ذلك بثبات عجيب، وطمأنينة غمرتنا، ثم تكاتفنا معاً وصلينا الفجر ـ متعلقين بالقارب ـ، وبعد مدة قصيرة انبلج نور الصباح، ورأينا ما هالنا، فدعونا مرة أخرىٰ بأن يدفئنا بحرارة الشمس، لقد كان منظراً رائعاً يصدع القلوب القاسية، كانت السماء مليئة بالغيوم وما هي إلا لحظات حتىٰ رأينا الغيوم من فوقنا، تنقشع وتخترقها أشعة الشمس لتسقط

علينا مباشرة لتدفئنا . . فتعجبنا لاستجابة الله لدعائنا، ثم دعوناه ـ ظهراً ـ أن يسخر لنا من ينقذنا، ولم تأت الساعة الحادية عشرة حتىٰ أرسل الله لنا سبحانه من ينقذنا، إنهم شبان ثلاثة قد قرروا أن ينزلوا البحر بالرغم من الأمواج العالية، وبالرغم من نهي أقربائهم وأصدقائهم لهم عن الذهاب إلا أنهم عزموا النزول، وكأنهم مسيرون لنا وحدنا.

واتجهوا نحونا بالرغم من أننا في مكان ليس بمعبر ولا مكان للصيد، إلا أن الباري أتىٰ بهم نحونا . . ما إن رأيناهم من بعيد حتىٰ علت أصواتنا وأيدينا . . خففوا سرعتهم واتجهوا إلينا بحذر، فهم لا يعلمون من نحن!، وكيف نقف هكذا في البحر، وهم لا يرون ما نحن مستندون إليه، وعندما اطمأنوا لنا أعطونا أيديهم وقفزنا إلىٰ طرادهم . . وقفزت في طرادهم من غير شعور أحتضنهم وأنا أبكي وأضحك . . إنه عمر جديد بعد تسع ساعات قضيناها بين الحياة والموت، وبين اليأس والأمل، لكننا تعلمنا درساً واحداً مهماً، ولمسناه بأيدينا ومشاعرنا، إنها قدرة الله العظيم ورحمته التي وسعت كل شيء، لقد لمسنا معنىٰ قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء**﴾ . . ورأينا كيف يفعل بمن يلجأ إليه، وخرجنا من هذه التجربة أكثر إيماناً وأصلب عوداً ـ والحمد لله ـ.

ونسأل الله الثبات وحُسن الخاتمة .

أريد أن أسلم

حاولت كثيراً أن تتجنب المضايقات الكثيرة من الشباب عند ذهابها إلىٰ عملها في أحد المستشفيات ولكن من غير فائدة، وتحيرت! كيف إيقاف هذه التحرشات والمضايقات؟ وأصبح هذا الأمر كابوساً يؤرقها، وفي يوم من الأيام رأت علىٰ زميلتها لباساً غريباً لم تعهده من قبل، إنه حجاب وعباءة هدية من لجنة التعريف بالإسلام[1] لزميلتها بعد أن أعلنت إسلامها، وبدأت زميلتها تشرح لها جمال الإسلام وتكامله وحفظه وصيانته للمرأة، وما هذا اللباس إلا وسيلة من وسائل حماية المرأة من الأذىٰ، حيث يقول الله ـ تعالىٰ ـ موجهاً كلامه للنساء:

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩)** ﴾ (الأحزاب).

بعد سماعها لهذه الآيات من زميلتها أرادت أن تجرب

---

(١) لجنة خيرية كويتية تعمل علىٰ تعريف غير المسلمين بالإسلام.

حقيقة هذا الأمر، فطلبت أن تعطيها حجاباً وعباءة، فلبسته تجربة وليس اقتناعاً، وبعد مرور عشرة أيام توسلت إلى زميلتها أن تأخذها إلى لجنة التعريف بالإسلام لتعلن إسلامها، فقد رأت عظمة هذا الإسلام من خلال هذه الآية، وثبت لها عملياً عدم تعرض أي إنسان لها عندما لبست هذا الحجاب، فقالت: أشهد أن الإسلام حق، ثم شهدت شهادة التوحيد ودخلت في هذا الدين العظيم والأرض لا تسعها من شدة الفرح.

هكذا يدخل ديننا أفواج دون إكراه، بينما يشكك بعض أبنائنا بعدالة الإسلام، ويطعنون في القرآن بحجة عدم إعطائه المرأة حقوقها، ويبثون جهلهم وحماقتهم واستهزاءهم بدين الله وقرآنه صباح مساء.

أسأل الله لهم الهداية وجلاء الغشاوة التي رانت على بصائرهم وقلوبهم.

هل جربتها ؟

بشعره المنفوش ، والقلادة التي تطوق عنقه، والسلسال الذي في معصمه، وقد فتح أزرار قميصه حتى منتصف صدره، وسيارته السبور الصغيرة، وصوت المسجل يهدر بالأغاني الغزلية، أقبل عليَّ بعد أن أوقف سيارته بقربي يسألني : «أأنت فلان؟» .

قلت له : نعم .

قال : هل تأذن لي بأن أحدثك، وآخذ من وقتك القليل؟

قلت له : بكل ترحيب .

قال : إنني أغبطك على أما أنت عليه، وما تشعرون به من سعادة غامرة نفتقدها . . لقد جربنا كل شيء من أجل الحصول عليها : النساء، المخدرات، الانفلات من كل قيد ديني، الحفلات . . . إلخ، ولكننا رجعنا بعد ذلك بالمزيد من الضيق والتوتر .

قلت له : وما الذي يمنعك أن تسلك طريق الاستقامة وتتوضأ لتطهر ظاهرك، ثم تصلي لله لتطهر باطنك، وتبتعد عن

هذه الموبقات التي ربما قد يختم لك وأنت على ذلك فتكون العاقبة الخطيرة؟

قال لي: لا أستطيع، فكلما حاولت ذلك تكون عاقبتي الفشل.

قلت: لو قيل لك إن العصير الفلاني لذيذ الطعم تبقى في شك من هذا الأمر حتى تتذوق هذا العصير، أليس كذلك؟

قال: صحيح.

قلت له: فهل جربت الصلاة التي تركتها كل هذه السنين وما تسببه من طمأنينة وراحة نفسية منقطعة النظير؟

وهل سمعت قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ** (٤٥) ﴾ (البقرة)، وكان الرسول ﷺ إذا ضاقت عليه الأمور نادى بلال قائلاً: «أرحنا بها يا بلال»، يقصد الصلاة.. فحاول أن تجرب.

تركني وهو يتمتم قائلاً: سوف أحاول إن شاء الله.

نعيمان.. ودعاة اليوم

نعيمان، أحد قدماء الصحابة رضي الله عنهم، وكان رجلاً صالحاً بالرغم من صفة المزاح التي كانت ملازمة له، وكانت سبباً لحب الرسول ﷺ له.. وما جاء في ترجمته أنه خرج في تجارة مع سويبط بن عبدالعزيز وأبي بكر الصديق - رضي الله عنهم جميعاً -، وكان سويبط على الزاد، فجاءه نعيمان في بعض منازلهم، فاستعطفه أن يعطيه من الطعام، فقال له حتى يجيء أبوبكر، فذهب نعيمان إلى قوم من رؤساء الحي الذي هم فيه، فقال له: إن لي عبداً، فهل فيكم من يشتريه مني؟ فقالوا: نعم، فقال: إنه ذو لسان، وربما يقول: أنا حر فتسمعون منه، فلا تغروني وتفسدوا عليّ غلامي، فقالوا: لا عليك، نحن لا نسمع قوله، فاشتروه منه بعشرة من الإبل، فقبضها منهم، وجاء بهم إلى سويبط، فقال لهم: هذا هو، فقالوا: قم معنا، قال: وما الخبر؟ قالوا: قد اشتريناك من مولاك، قال: ومن مولاي؟ قالوا: نعيمان، قال: كذب وفجر، فتلكأ، فوضعوا عمامته في عنقه، وذهبوا به، وجاء أبو بكر وطلب سويبطاً فلم يجده، فأخبر بفعل نعيمان، فذهب هو وأصحابه إلى القوم وخلصوه

منهم، وردوا إليهم إبلهم، فلما قدموا أخبروا رسول الله ﷺ فضحك هو وأصحابه من ذلك. . انتهى.

إن جمعاً من الناس - وخاصة المثقفين منهم - لا يبغضون دعاة اليوم بسبب معاداتهم للإسلام، فهم مسلمون ولا تشكيك في ذممهم، فأعمالهم أنقى وأكبر من أن تخفى على أحد، ولا انتقاص مما يقومون به من أعمال خيرية يشهد لها القاصي والداني، ولكن بسبب معاملة قاسية، وتجهم وغلظة لاقوها من بعض الدعاة جعلتهم يردون الصاع صاعين، ويسيئون لأولئك الدعاة وسلوكهم.

إننا نحتاج في هذه الأيام إلى دعاة تتسع صدورهم للجميع، ويقدمون حسن الظن على الإساءة، ويؤمنون بأن كل إنسان فيه خصلة أو أكثر من خصال الخير.

أثر الدعاء

توجهت لدائرة حكومية لقضاء بعض المعاملات فقال لي الطباع: إن معاملتك ناقصة لأوراق مهمة، وأبدىٰ لي صعوبة الموافقة عليها من غير هذه الأوراق، فقلت له أتم طباعتها وسييسرها الله إن شاء، وحقيقة الأمر أنني استثقلت الرجوع للبيت لجلب الأوراق الناقصة للحرج الكبير في تأخري عن الدوام، فابتدأت بقراءة دعاء الكرب الذي ورد في البخاري: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض: رب العرش الكريم».

وتوجهت بعدها للموظف المختص، وإذا به يذكر لي نقصاً آخر غير الذي ذكره لي الطباع، وقبل أن أرد عليه، تطوع هو بالدخول علىٰ المدير وأخذ منه استثناء وموافقة علىٰ النقص، ثم فاجأني بقوله: «إن هذه المعاملة لا تنتهي إلا بعد أسبوع، ولكني سأنجزها لك في يوم واحد»، ولم أكن أعرف هذا الشخص من قبل، حيث كنت أسمعه يقول للمراجعين بأن يراجعوه بعد أسبوع، فقلت ـ في نفسي ـ: سبحان من أمرنا بالدعاء وأرانا آثاره العجيبة.

(بابان معجلان عقوبتهما)*

كان يلح على أبيه التاجر العصامي الذي لم يرث المال، بل كونه بنفسه بأن يتزوج من البنت التي تعرف عليها في الجامعة، بينما كان أبوه يرفض هذه الزيجة، حيث كان يساوره الخوف من الفشل بسبب ما يعرف من صفات تلك الفتاة التي يريدها ولده، وأمام إصرار الولد العنيد رضخ الوالد لولده، فطلب الولد من أبيه أن يشتري له بيتاً، فاقترح عليه أبوه بأن يشتري بيتاً كبيراً يسكن هو وزوجته في الطابق الأعلى، ويسكن والده وأمه في الطابق الأسفل، وافق الولد على الاقتراح، وتم شراء البيت وسكنوا جميعاً في ذلك المنزل الجديد.

بعد فترة وجيزة توفيت والدته، وظل الوالد من غير أحد يرعاه ويلبي حاجاته، خاصة وقد بلغ السبعين، وكان ذلك الولد العاق يمر به ويلقي عليه فضلات طعامه وزوجته، كأنه يرميه إلى بهيمة، وازدادت الأوساخ في مسكن الأب دون أن يجد من ينظف له، وحاصرته الأمراض، وكان يتوسل لولده أن يعرضه

(*) من كتاب عدالة السماء ـ لخطاب ـ بتصرف.

على الطبيب، ولكن الرفض كان الجواب الوحيد الذي يعرفه ذلك العاق، بينما زوجته تحثه على طرد والده من المنزل، وتسول له الاستيلاء على البيت كاملاً.

دخل على والده في ليلة شاتية، ولا تكاد تسمع منه سوى السعال، وتكاد الحمى تقطع جسده النحيل، والروائح الكريهة تنبعث من ملابسه التي لم يغيرها منذ ما يزيد على الشهر، أقدم عليه ذلك العاق، وبعد حفلة من السب والشتم والركل، لف والده ببطانية ورماه خارج المنزل.

خرج المصلون من صلاة الفجر، وإذا بهم يرون بطانية ملفوفة وبداخلها جسد كان أقرب للهيكل العظمي، وقد جمده الهواء البارد، والأمطار المتساقطة عليه، وعندما رفعوا البطانية عن رأسه وجدوه ميتاً، وقد خرج الدم من أنفه وتجمد على شاربه وفمه.

بعد إجراء التحقيقات، تعرف رجال الأمن على الجاني واقتادوه مكبلاً إلى المخفر، وبعد أن بدأت المحاكمة، صدر الحكم بالسجن لمدة عشرين عاماً، كانت زوجته حينئذ حاملاً في شهرها الأول.

أمضى فترة السجن كاملة، وبعد مضي هذه الفترة، وعند

باب السجن كانت زوجته تنتظره وولده في السيارة التي كان يقودها الولد المشتاق لرؤية أبيه، وما إن رأته الزوجة وهو يخرج من الباب حتىٰ أمرت ولدها بالتوجه إليه بالسيارة، ولكنه من شدة الفرحة ضغط علىٰ مكبس البنزين بدلاً من الفرامل، الأمر الذي تسبب في الاصطدام بأبيه، وعندما ترجل من السيارة وجد أباه منكفئاً علىٰ وجهه، وقد نزل الدم من أنفه وسال علىٰ فمه، إنه المنظر نفسه الذي مات به جده علىٰ يد والده الذي يراه تحت عجلات سيارته هذه اللحظة.

هذه قصة حقيقية من أرض الواقع، وهي من بين آلاف القصص التي تبرهن قول النبي ﷺ: «بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا: البغي، والعقوق»(١).

فكل ما يفعله الأبناء لآبائهم وأمهاتهم من الإساءة سوف يجدونه بأم أعينهم، وعلىٰ أيدي أبنائهم، سواء بسواء، مهما بلغوا من الصلاح، فلابد من عقوبة الدنيا قبل الآخرة.

نهدي هذه القصة لأولئك العاقين والعاقات ممن يهون عليهم ضرب الآباء والأمهات، وإرسال من يمرض منهم أو يكبر

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه وصححه الألباني (ص ج ص ٢٨١٠).

إلى دور الرعاية ليتخلصوا من رعايتهم، فلينتظروا يوم العقوبة الذي ينتظرهم على أيدي أبنائهم، وما ربك بظلام للعبيد.

قصة من الأزمة(١)

جمع ما استطاع مما قل وزنه وزاد ثمنه، ثم كدس في سيارته أمه وزوجته وأبناءه، ثم انطلق نحو الحدود الجنوبية للبلاد بعد أن اشتد على الناس البلاء، وخاف الكثير منهم على أعراضهم وأنفسهم، وعندما وصل إلى مدينة «الوفرة» وهي من المناطق الحدودية الكويتية، رأى جندياً عراقياً بكامل سلاحه، واستغرب عندما لم يفعل لهم شيئاً، بل دلهم على الطريق المؤدي للحدود السعودية، فانطلقوا نحو الطريق الذي دلهم عليه، وقبل أن تلوح لهم علامات الوصول للحدود قالت أمه له: يا ولدي ما الذي سوف نفعله بهذا الطعام الذي أخذناه معنا، ونحن مقبلون على خير وفير، لماذا لا نرجع إلى ذلك الجندي المسكين ونعطيه هذا الطعام؟ فغضب الولد وقال: كيف نعطيه الطعام يا أماه، وهو ممن جاء ليقتلنا ويهتك أعراضنا، ويدخل الرعب في قلوبنا؟!.

فأصرت الأم على أن يعود للجندي ليعطيه الطعام، وأصر جميع من في السيارة على عدم العودة، فلما رأت الأم إصرارهم

(١) الأزمة التي حدثت بين الكويت والعراق.

هددته بعدم الرضا إذا لم يعد، ولما رأى الابن إصرارها عاد للجندي وأخبره برغبة أمه، ولكن الجندي شك في الأمر وطلب منهم أن يأكلوا أمامه، فأكلوا من حيث اختار لهم، اطمأن للطعام وأخذه منهم، وشكرهم على صنيعهم، ثم فاجأهم بقوله: مادمتم قد أحسنتم إليَّ، وأسديتم لي هذا المعروف، فاسلكوا الطريق المخالف للطريق الذي دللتكم عليه في المرة الأولى، لأنه يوصلكم إلى حقل ألغام، فتعجب الجميع لهذا الحفظ الرباني بسبب عمل الخير.

وهكذا هي سنة الله، فهو يحفظ عباده الصالحين بسبب أعمالهم الصالحة، وخير شاهد لذلك ما جاء في سورة الكهف عن حفظ الوالدين من ابنهما عندما قتله الخضر، وحفظ اليتيمين ومعرفتهما لكنزهما بسبب صلاح والديهما.

سوء الخاتمة

قال لي صاحبي : كنتُ في مصر أثناء أزمة الكويت، وقد تعودت دفن الموتىٰ منذ أن كنت في الكويت قبل الأزمة، وعرفت بين الناس بذلك، فاتصلت بي إحدىٰ العوائل طالبة مني دفن أمهم التي توفيت، فذهبت إلىٰ المقبرة، وانتظرت عند مكان غسل الموتىٰ، وإذا بي أرىٰ أربع نساء محجبات يخرجن مسرعات من مكان الغسل، ولم أسأل عن سبب خروجهن وسرعتهن بالخروج لأن ذلك أمر لا يعنيني، وبعد ذلك بفترة وجيزة خرجت المرأة التي تغسل الأموات، وطلبت مني مساعدتها بغسل الميتة، فقلت لها: إن هذا الأمر لا يجوز، فلا يحل لرجل أن يطلع علىٰ عورة المرأة، فعللت لي طلبها بسبب ضخامة جثة الميتة، ثم دخلت المرأة وغسلتها، ثم كفنتها، ثم نادتنا لحمل الجثة، فدخلنا نحو أحد عشر رجلاً وحملنا الجثة لثقلها، ولما وصلنا إلىٰ فتحة القبر وكعادة أهل مصر فإن قبورهم مثل الغرف ينزلون من الفتحة العلوية بسلم إلىٰ قاع الغرفة، حيث يضعون موتاهم دون دفن أو إهالة للتراب، فتحنا الباب العلوي وأنزلنا الجثة من علىٰ أكتافنا، وإذا بها تنزلق وتسقط منا داخل الغرفة دون أن نتمكن من إدراكها، حتىٰ أنني سمعت

قعقعة عظامها وهي تتكسر أثناء سقوطها، فنظرت من الفتحة وإذا بالكفن ينفتح قليلاً فيظهر شيء من العورة، فقفزت مسرعاً إلىٰ الجثة وغطيتها ثم سحبتها بصعوبة بالغة إلىٰ اتجاه القبلة، ثم فتحت شيئاً من الكفن تجاه وجه الجثة، وإذا بي أرىٰ منظراً عجيباً، رأيت عينيها قد جحظت، ووجهها قد اسود، فرعبت لهول المنظر، وخرجت مسرعاً للأعلىٰ، لا ألوي علىٰ شيء.

بعد وصولي إلىٰ الشقة اتصلت بي إحدىٰ بنات المتوفاة واستحلفتني أن أخبرها بما جرىٰ لوالدتها أثناء إدخالها القبر، فأردت التهرب من الإجابة، ولكنها كانت تصر عليَّ لإخبارها، حتىٰ أخبرتها، فإذا بها تقول لي: يا شيخ عندما رأيتنا نخرج من مكان الغسل مسرعات فإن ذلك كان بسبب ما رأيناه من اسوداد وجه والدتنا، يا شيخ إن سبب ذلك أن والدتنا ما صلَّت لله ركعة، وأنها ماتت وهي متبرجة.

هذه قصة واقعية تؤكد أن الله سبحانه وتعالىٰ يشاء أن يُري بعض عباده بعض آثار الخاتمة السيئة علىٰ عباده العصاة ليكون ذلك عبرة للأحياء منهم.

إن في ذلك لعبرة لأولي الألباب.

من عجائب سُنن الله

من عجائب سنة الله تعالىٰ في خلقه أنه سبحانه وتعالىٰ يختبر من ينصح الناس بأمر من الأمور بنفس هذا الأمر، فمن ينصح الناس بالإنفاق يختبره بموقف فيه إنفاق ليرىٰ سبحانه وتعالىٰ تطبيقه لهذا الأمر.

وكذلك من ينصح بترك الغضب يُبتلىٰ بموقف فيه غضب لغير الله ليراه أيغضب أم يصبر ويحتسب، مادام لغير الله؟

وكذلك من ينصح بالصبر يُبتلىٰ بموقف يحتاج إلىٰ صبر... وهكذا.

يذكر أحد الإخوة ممن درسوا في إحدىٰ الدول الأجنبية، وكان ممن يعظ الناس فيقول: ابتلاني الله ببلاء صعب، ولكنه وحده أعانني علىٰ الخروج منه، وذلك أثناء دراستي في أمريكا، وبعد أن ألقيت محاضرة في «الفتن في حياة يوسف عليه السلام» وقد ركزت كثيراً علىٰ فتنة النساء، ويومها لم تكن زوجتي معي، وبعد المحاضرة بأيام قليلة اتصلت بي إحدىٰ الأمريكيات، وقالت لي بأنها تعرفني، وعندما بادرتها عما تريد، قالت أريد أن أمارس الحب معك، صعقت لهذه العبارة التي أسمعها لأول مرة

في حياتي، واستغربت هذه الجرأة، وثارت عاصفة الشيطان تطرق عليَّ كل باب موصد، واستعنت بالله تعالىٰ، وتذكرت يوسف ـ عليه السلام ـ، وأجبتها بأن هذا الأمر لا يجوز في ديننا، كما أن ديننا لا يبيح لنا أن نخون زوجاتنا، ثم أغلقت الهاتف في وجهها وتعوذت بالله من شياطين الإنس والجن.

والحمد لله الذي حفظ ذلك الأخ من السقوط في فتنة من أعظم الفتن، ليرىٰ سبحانه مدىٰ صدقه فيما يعظ به الآخرين.

بين بشارتين

بعد حفلة عرس عامرة في أحد فنادق الخمسة نجوم، اصطحب فارس الأحلام فتاة أحلامه إلى غرفة حالمة في ذلك الفندق لقضاء ليالي العسل، بعد ليالي البصل الكثيرة في حياته، قضيا تلك الليلة وهما يشعران بأنهما أسعد مخلوقين على هذه الأرض، لا يتحمل تغيبها عن عينيه لحظة، وتبادله هي ذلك الشعور.

وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي جاءت أمه وأخواته، يزرنه في غرفته، للاطمئنان عليه، قرعن جرس الغرفة والسعادة تحفهن، خاصة الأم التي كان فرحها أكبر من فرحته هو بزواجه، استيقظ المعرس على صوت رنين الجرس متسائلاً: من يمكن أن يكون في مثل هذه الساعة؟

قامت حبيبة الفؤاد واقتربت من العين السحرية، وهي تقول: إنها أمك وأخواتك، لقد جئن مبكراً جداً، لا ترد عليهن ودعنا في متعتنا، أعاد الحبيب الغطاء على رأسه واستمرا في نومهما، بعد ساعة واحدة قرع الجرس مرة أخرى قامت وهي تتمتم.. لعلها أمك عادت مرة أخرى، وما إن اقتربت من العين السحرية حتى صاحت: إنها أمي مع أخواتي، قم بسرعة، فقد

آن أوان الاستيقاظ والساعة تقترب الآن من العاشرة فكفانا نوماً.

قفز من الفراش مسرعاً، وغسل وجهه، وطلب منها فتح الباب لاستقبال عمته. انتهى شهر العسل، وكم كانت فرحته عظيمة عند سماعه خبر حملها، وزادت فرحته ولم تسعه الدنيا عندما رُزق بمولودة جميلة من حبيبة العمر، وطار بها من شدة الفرح، ولم يفارق زوجته لحظة، بل ولم يتركها تتحرك حركة واحدة خوفاً عليها، وأغدق عليها الهدايا تلو الهدايا، وأغرق ابنته بأجمل وأغلى الفساتين، وكلما ألبسها فستاناً ضمها إلى صدره وشمها، وقبلها من كل مكان، حامداً ربه على هذه النعمة.. وزاد حبه وقربه لزوجته مع مجيء صغيرته لهذه الدنيا.. وبعد ما يقارب الأعوام الثلاثة رزق بمولود، وفرح الجميع بهذا الخبر، وتوقع أهل العروس أن يتضاعف فرحه هذه المرة عن المرة الأولى، فالقادم ذكر، وحلاوته عند الكثيرين أضعاف حلاوة الفتاة، ولكن الجميع فوجئوا بأن الزوج استقبل الخبر ببرود شديد، بل واختفى عن الأنظار، وابتعد عن زوجته، وأصبح يلبي حاجتها بالهاتف خلال فترة النفاس.. بينما كان بالأمس لا يفارقها لحظة واحدة، جاء لزوجته يوماً من الأيام فسألته عن هذا التغير الغريب؟، ورجته أن يخبرها بسبب لامبالاته وحزنه للخبر، بينما كان يفترض العكس.

فقال لها: البنت ترحب بأهلها إذا جاؤوها ولا تفضل عليهم زوجها، والولد يضحي بأمه وأهله من أجل زوجته.

فالبنت أكثر وفاءً من الولد.

فهمت زوجته ما أراد.. وصمتت عن التعليق.

صدقوني إنني أموت

قدر الله تعالى أن تقترن برجل غليظ القلب، لا يعرف شيئاً عن الرحمة، يضربها لأتفه الأسباب، ويسبها ويشتمها صباح مساء، ويعاملها أسوأ من معاملة السيد لأَمَتِهِ الناشز، ويحرمها من النفقة، فاضطرت أمام هذه الظروف القاسية أن تتعجل بتزويج بناتها وهن صغيرات، لتتخلص من عبء نفقاتهن، ونتيجة لذلك طلقت اثنتان منهن مما زاد من أعبائها، الأمر الذي ألجأها لشراء الثياب من السوق، وبيعها في البيوت، لتوفير المال الذي تنفقه على عيالها بعد أن تخلى الأب الظالم عن مسؤولياته، فانشغلت بتحصيل رزقها عن تربية عيالها، ونتج عن ذلك انحراف ولدها الكبير، وانخراطه مع شلة فاسدة من الشباب لا همّ لهم سوى مغازلة الفتيات وغشيان الشقق المفروشة لممارسة الحرام، وتطور به الأمر أن زينوا له السفر إلى بانكوك لممارسة كل ما يريده وما يحلم به بأبخس الأثمان.

ضغط على أمه المسكينة وأقنعها أنه يريد الذهاب إلى هناك، حتى يهرب من التجنيد الإلزامي، فَرَقَّتْ له الأم لحقه

الذي أراد به باطلاً، وليضرب عصفورين بحجر واحد.

فذهب إلىٰ هناك مع شلة الفساد، وحَلَت له الإقامة مع المومسات، وتزوج واحدة منهن وأنجب منها بنتاً.. ثم انتهت أمواله التي احتال (لشفطها) من أمه بين فترة وأخرىٰ حتىٰ اضطرت للاستدانة من أجل إرسال ما يمكِّنه من العيش هناك، وهي لا تعلم عبثه واستهتاره، وانقطعت بها الحيل لتدبير المال، مما جعله يقرر الرجوع للكويت.

وعندما رجع إلىٰ أرض الوطن أقنعته أمه بالزواج من بنت البلد، فأطاعها واقترن ببنت البلد، التي لم يلبث أن تركها وهي في شهر العسل، ليعود إلىٰ العفن الذي قدم منه، غير آبه بتوسلات أمه بعدم العودة، وتأكد للأم زواجه الأول وانغماسه بالرذيلة، فقررت مقاطعته ـ كلما اتصل بها يريد مالاً ـ، وأصمت أذنها عن تصديق كل عذر يحتال به عليها لأخذ المال، حتىٰ أصيب بمرض الإيدز، ولم تمض سنة حتىٰ وقع في فراش المرض يعاني الآلام المبرحة التي تكاد أن تقطعه وهو حي، وكان يتصل بأمه في الكويت، ويتكلم بصوت متهدج: «أمي أنا أموت.. صدقوني.. تعالوا إليَّ حتىٰ أراكم قبل الموت».

وكانت الأم تقول: «إنه كذاب كعادته، فما الذي يدعوه للصدق هذه المرة؟».

بعد أيام من هذه المكالمة اتصلت الخارجية بالأم لتخبرها بتسلم جثة ولدها القادمة من بانكوك . . لقد مات متأثراً بالإيدز .

هذه نهاية من يسلك هذا الطريق غضب في الدنيا وعذاب ، وغضب وعقاب في الآخرة .

فيني جني طلعوه مني

يروي لي أحد الأصدقاء الأعزاء من الشقيقة مصر قصة عاصرها بنفسه، بطلتها سيدة تزوجت من شاب ذي عمل بسيط في المجتمع، وعندما تخرجت من الجامعة شعرت بالخجل بأن يكون زوجها وهي الجامعية يعمل بهذا العمل، فأرادت التخلص منه بحيلة تجعله يملها ويطلقها، والحيلة تتلخص في أن تدعي أن سقف الدار ينفتح كل ليلة، ويأتي جني يتلبسها، ثم تقوم بعد ذلك ببعض الحركات والصرخات، كما هو الحال في جلسات الزار..

وبدأت فعلاً بتطبيق هذه الحيلة، وتضايق زوجها المسكين من ذلك، مما اضطره للتباحث مع صاحبي حول هذه المشكلة، فنصحه بالاستعانة بعد الله بأحد الشباب الصالح ممن لديه خبرة في هذا المجال، وتوجها إليه، وبعد أن شرح الزوج ما يحدث لزوجته قال له ذلك الشاب: «إن ٩٠٪ مما يحدث للنساء في هذا المجال كذب وحيلة، ولا علاقة له بالجن»، فتعجب الزوج من ذلك، وتأكيداً لما ذكره تبرع ذلك الشاب بالذهاب لزوجته لتعرف حالها، وأخذ معه زجاجة فيها دخان محبوس، وقال لها: «إن في هذه الزجاجة جنياً محبوساً سأجعله يتلبسك حتى يقتل الجني الذي في داخلك، وسنسمع معاً أصوات المعركة بينهما، ولكنه

إذا لم يجد أحداً فسيبقى داخلك لا يغادرك»، فقالت بعد أن تغيرت ألوانها وارتبكت: «أمهلني حتى أفكر»، وهي تبلع ريقها، فوافق على إعطائها فرصة للتفكير، ثم جاءها، وإذا بها بغير الحال التي رآها عليه في المرة الأولى وهي تقول: «أبشرك فإن الجني خرج مني، وسوف لا يعود أبداً».

هذه قصة من آلاف القصص التي تثبت أن معظم ما يُدعى من تلبس الجان ـ وخاصة عند النساء ـ، ما هو إلا أعراض لأمراض نفسية تحتاج إلى علاج نفسي في مستشفى الطب النفسي، أو هو ادعاد وحيلة وكذب، إما انتقاماً من زوجها، أو لحاجة في نفس يعقوب. . وهذا لا يعني عدم ثقتي بقراءة القرآن، حاشا أن أقول ذلك، ولكن لابد أن نلفت الأنظار إلى أن الكثير منا وبسبب الضغوط الاجتماعية الكثيرة يتعرض لبعض الأمراض النفسية، وهي حقيقة لا يجوز أن نستحي منها أو نتردد بعرض أنفسنا على أطباء الطب النفسي، خوفاً من الفضيحة، ونرضى بأن نعاني السنين الطويلة ونكون أسرى مظنة دخول الجني فينا. . فقد عاصرت وقيل لي عن كثير من الحالات التي استعصت على كثير من قراء القرآن، وقالوا ربما يكون فيه مارد كبير من الجن، ثم تبين بالنهاية أن به مرضاً نفسياً، لم تزد معالجته على أكثر من جلستين نفسيتين ليعود بعدهما طبيعياً دون شكوى.

قلوب من فولاذ

كانت هناك على ضفاف البحر جالسة على بساطها وبقربها «مطارة» الشاي، تنظر إلى قرص الشمس وهو يغطس في الأفق لينقضي يوم من حياتها التي بلغت السبعين عاماً، ثم تنظر إلى البحر الذي تنعكس على مياهه أشعة الأفق الذهبية، وتأخذها روعة جماله، ولكنها لا تنسى كم بلع في جوفه من المآسي والقصص، ثم تعود إلى مكانها فتتذكر حقيقة الحياة وأنها تشابه البحر في كثير من جوانبه. . كانت تجلس قريباً منها عائلة جاءت إلى البحر لتكسر روتين الحياة اليومي، ولتنسى شيئاً من ماكينة الحياة اليومية، وضوضائها، وما تسببه من التوترات النفسية، لاحظ بعض أفراد العائلة انفراد تلك السيدة العجوز لوحدها، فأراد أن يتدخل ويسألها، ولكن الجميع نهوه عن ذلك، فامتنع، ومضى أفراد العائلة يقضون وقتهم، ويتناولون أطراف الحديث بأمور شتى، ويأكلون طعامهم، حتى جاوزت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، والسيدة العجوز مازالت جالسة وحدها تحتسي الشاي وتنظر إلى البحر، لم يتمالك أحدهم نفسه: «حجية هل تريدين نوصلك إلى مكان؟ . . عسى

ما شر لا نرىٰ عندك أحد؟».

ردت عليه: «ولدي أوصلني هنا، وقال لن أطيل وسآتي لك عن قريب».

فقال لها: «ولكن الوقت متأخر والساعة الآن الواحدة والنصف بعد منتصف الليل؟»، قالت: «لا أدري، ولكنه ترك بيدي ورقة»، أخذها ذلك الرجل، وقرأها، وإذا بها «علىٰ كل من يقرأ هذه الورقة إرسال هذه السيدة إلىٰ دار الرعاية للمسنين».

صعق الجميع عند معرفتهم بمأساة هذه العجوز التي كانت يوماً من الأيام مرضعة وساهرة وحاملة لذلك العاق، ثم يرميها وهي في خريف حياتها علىٰ البحر كما يرمي البحر زبده علىٰ شاطئه.

ليعلم كل من يقرأ هذا المقال أن مصيره سيكون كذلك إن لم يحرص علىٰ تربية ابنه أو ابنته تربية صالحة يضمن من خلالها بره في آخر الحياة، والدعاء له بعد الممات.

الدولة الغريبة

تروي كتب التراث أن دولة غريبة، لها قوانينها الغريبة، تقع في وسط صحراء مقطوعة، مليئة بالزواحف الخطرة، والوحوش الضارية، ولكن هذه الدولة لها أسوار عالية لا يمكن أن يتسلقها أحد، ولا يمكن لأحد أن يخرج منها إلا من بابها الذي لا يفتح إلا كل خمس سنوات، هي مدة بقاء حاكم البلد فيها، حيث يطرد من بابها بعد انقضاء مدته، وغالباً يكون مصيره الموت في تلك الصحراء التي لا يوجد فيها أي مظهر من مظاهر الحياة، وفي نهاية مدة أحد حكامها وما أعقبها من مراسيم الطرد، أعلن عمن يتطوع لإدارة الدولة فلم يتطوع أحد، ومضت الأيام دون أن يتقدم أحد إلى أن فوجئ الجميع بشاب في مقتبل العمر يتقدم لِلَّجْنَة المشرفة على الاختيار، ويقبل بالمهمة الصعبة، فعرضوا عليه شروط الحكم وأفهموه كل شيء عن مدة الحكم، ومصيره بعد ذلك، فوافق على جميع الشروط.

وبدأ فترة حكمه بجدية، وهمة عالية، وكان قد اتفق مع آلاف العمال سراً، حيث كان يخرجهم من البوابة ليلاً ليشقوا القنوات المتصلة بالعيون من داخل الدولة، ويغرس الشجر المثمر

بجميع أنواعه، ويستمر العمال في العمل ولا يدخلون حتىٰ قبيل الفجر، وهكذا استمر في هذه الخطة حتىٰ شارفت مدته علىٰ الانتهاء، فلما جاء فريق الإشراف علىٰ التعيين والطرد ليخبروه بقرب موعد الرحيل لم يروا عليه ما كانوا يرون علىٰ من سبقوه من الوجل والرعب، بل رحب بقرب الموعد، وأبدىٰ شجاعة متناهية، وطمأنينة أدهشتهم، ولما جاء موعد الطرد، وفتحت الأبواب، تعجب الجميع من مناظر الأشجار المثمرة، وقنوات المياه التي تتخللها، والآبار التي حفرت، حتىٰ بدا ما هو خارج أجمل مما في داخلها، ولما سألوا عن ذلك؟، أخبرهم بما قام به من استعدادات ليوم الرحيل، فأعجبوا به أشد الإعجاب، واتفق الجميع أن يولُّوه حاكماً عليهم مدىٰ الحياة.

هذه قصة رمزية لمعنىٰ الحياة التي نعيشها، فكل منا له مدة معينة ومحددة لا تزيد ولا تنقص، يطرد بعدها من هذه الدار، إلىٰ دار أخرىٰ، إما أن يكون قد استعد لها فينجو كما نجا ذلك الشاب، وإما أن يكون قد فرط فيها وفرط في الوقت الذي أعطي له، حتىٰ تأتي لحظة الطرد من الدنيا فلا يجد إلا صحراء قاحلة لا حياة فيها ولا منجاة، فيبكي حيث لا ينفع الندم ولا البكاء، فهل نعتبر؟!.

لا أعرف أين حَوَلِّي(١)

عندما جاء ليجلس في إحدىٰ الاستراحات لمح حقيبة ذات ماركة مشهورة، فأقدم عليها تسبقه أحلامه وأمانيه، وهو يتساءل في نفسه:

هل ستنتهي التعاسة التي أعيش فيها أنا وأسرتي ومن أعول من الأبناء في هذه اللحظة؟

هل أتمكن من شراء سرير جديد لي بدلاً من الذي نستعمله الآن، والذي يخفق بنا بين فترة وأخرىٰ، وكلما تقلبنا عليه أثناء نومنا أيقظنا لارتفاع أصوات تحرك الزوايا والمسامير الصدئة فيه؟

هل سأتمكن اليوم من شراء دراجة لولدي، بعدما مل من البكاء وهو يتمنىٰ ركوب دراجة؟

وضع يده عليها، فتحها بسرعة.. يا الله ما هذا!! دفتر شيكات كله موقع، وبطاقتان ذهبيتان لأشهر شركات البطاقات البنكية في العالم، وبعض أدوات زينة النساء.. وكان ذلك قبيل أيام العيد.. وكان في أشد الحاجة لعشرة دنانير فقط، فكيف

(١) منطقة مشهورة في الكويت غالب سكانها من الوافدين.

بهذا الكنز الذي بين يديه؟

وبدأ الصراع بين ضميره الذي مازال فيه نبض من الحياة، وما تربىٰ عليه من قيم هذا الدين، وبين نفسه الأمَّارة بالسوء، وحاجته الضاغطة، وبكاء أطفاله، فكلما أقنعته نفسه بالتقدم خطوة لأقرب آلة سحب بنكية، نازعه ضميره بالتأخر خطوة أخرىٰ، فلماذا تبني سعادتك علىٰ تعاسة الآخرين؟

أين صلاتك؟

أين صومك؟

أين قراءتك للقرآن؟

أما تتذكر أنك كنت تعجب بالأمانة، فكيف تقع في الفخ بعدما دخلت الاختبار؟

قطع صاحبنا تردده واتصل بالهاتف المدون علىٰ أوراقها الشخصية.. رد عليه طفل صغير.. ماذا تريد؟

هو: هل السيدة فلانة موجودة؟

الطفل: نعم.. من نقول لها؟

هو: فلان، وجد شيئاً قد فقدته.

تأتي السيدة المعنية وترد علىٰ صاحبنا: ماذا تريد؟

هو: سيدتي هل فقدت شيئاً منذ أيام؟

هي: لا لا لا أتذكر أنني قد فقدت شيئاً.

هو: سيدتي تأكدي من الأمر.

هي: أنا متأكده لم أفقد شيئاً.

هو: الرجاء التأكد والتذكر؟

هي: أمهلني لحظة واحدة.. وبعد فترة تفكير قالت: أوه.. أوه.. تذكرت.. لقد فقدت إحدىٰ حقائبي ولونها كذا وكذا، وبها كذا وكذا.

هو: كيف يمكنني تسليمها لك؟

هي: تعالىٰ إلىٰ منزلي.

هو: أنت صاحبة الحاجة.

هي: في أي مكان تحب أن نلتقي.

هو: في منطقتي التي أسكن فيها.. في حولي.

هي: ويه.. لا أعرف ها الأماكن.

فاتفق معها علىٰ مكان معروف.. وذهب مع زوجته للالتقاء بها وأمله عظيم في أن تكرمه بما لا يقل عن ألف أو ألفي دينار.. ولما التقيا أعطاها الحقيبة، لم تزد علىٰ قولها له..

شكراً، وأعطته خمسة دنانير، ثم انطلقت بسيارتها الباهظة الثمن، وتركته ينظر إلى الخمسة دنانير، غير مصدق أنها خمسة وهو مشدوه لما حدث، وكأنه حلم مر سريعاً، بنهاية غير سعيدة، لكنه تذكر أن مالك السموات والأرض قد كتبها له في الآخرة، وذكرته زوجته الصالحة أن الفوز هو فوزك على نفسك.. وخروجك منتصراً في معركة النفس والقيم.

شر البليّة ما يُضحك

كعادته في نهاية الأسبوع سهر (أبو فلان) عند صديقه (أبو علان) في ديوانيته القابعة في إحدىٰ المناطق السكنية الداخلية، وبعد أن انتصف الليل قدم (أبو فلان) لصديقه زجاجة الويسكىٰ، وبدأ كل منهما ينافس الآخر بعدد ما يحتسي من الأقداح، وانتهت الزجاجة الأولىٰ، فجاء (أبو علان) بالثانية فجاء علىٰ آخرها (أبو فلان)، وأثناء ذلك خرج (أبو علان) من الديوانية لجلب بعض مستلزمات سهرات «التنشيع»، وما إن عاد إلىٰ الديوانية حتىٰ رأىٰ صديقه (أبو فلان) ملقىٰ علىٰ الأرض من غير حراك.. ناداه: «بوفلان.. بوفلان.. بوفلان.. ما بك لا تتكلم؟» ولكن لم تكن هناك إجابة.. رفع رأسه بين يديه وهزه هزاً عنيفاً، وهو يصرخ بوجهه: «بو فلان كلمني..» ولكن لا فائدة.. دارت الدنيا بـ(أبو علان) وفكر في جميع الاحتمالات والإجراءات التي يجب أن يقوم بها، ولم يخطر بباله سوىٰ فكرة واحدة رآها هي الأنسب لينجو من الاتهام بالقتل أو التسبب بالقتل، وهي أن يلقيه في حاوية الزبالة في الساحة القريبة من بيته، فذهب إلىٰ سيارته وقربها بجانب باب الديوانية، وسحب جثة صاحبه وأدخلها بصعوبة داخل السيارة، ثم انطلق نحو

الحاوية وألقاه هناك، ورجع سريعاً إلى بيته وهو يلتقط نفساً عميقاً بعد أن تخلص من تلك المصيبة التي لم يتوقعها، ولم تمر عشر دقائق حتى سمع طرقاً عالياً على الباب الخارجي: «يارب.. ماذا حدث؟ ربما اكتشفت الشرطة الجثة، وجاؤوا للقبض عليَّ.. يا رب هل سأعدم؟».

وبينما هو مستغرق في التفكير والقلق على مصيره المظلم، إذ سمع مع الطرق صوتاً ليس بالغريب عليه، أسرع نحو الباب، وقد هيأ نفسه للقبض عليه، وإذا به يفاجأ بصديقه (أبو فلان) هو الذي يطرق الباب.. «بوفلان.. هل مازلت حياً؟».

بوفلان: هل هانت عليك يابو علان عشرة ١٥ سنة، حتى تلقيني في حاوية الزبالة؟

بوعلان: شسوي يا بوفلان.. شفتك مت.. وخفت من الشرطة.

بوفلان: أول ما رميتني وقعت بين قطط الفريج[١] كلها، وما أن وقعت عليهم هذه المصيبة، حتى تواثبوا من كل مكان فقفزت معهم من الفزع.

هذه صورة واقعية تبين العلاقة المزيفة بين المدمنين في هذا العالم المجهول.

---

(١) أي الحي باللهجة الكويتية.

أغرب من الخيال

في مدينة (سان فرانسيسكو) الجميلة يتحدث ذلك الرجل الذي غزا الشيب رأسه، عما يتذكره أيام طفولته، وشبابه، وكهولته، وما حدث مع هذه المراحل من أحداث هي أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع.

حيث بدأ الحديث عما بقي في ذاكرته منذ أيام طفولته عندما غزت قريته عصابة من اللصوص، امتطى كل واحد منهم صهوة جواده، وقد تلثم بطرف غطاء رأسه، وقد أحالوا هدوء القرية إلى صخب وفوضى، وثار الغبار، وانعدمت الرؤية، وما هي إلا ساعات من الزمن، حتى كان هو وأمه كل منهما في قفص من الخيزران، قد استقر قرب أكواخ اللصوص الذين دخلوا أكواخهم أخذاً للراحة، لينقلوا في الصباح حصيلة الغارة إلى الميناء لبيعهم على بعض قباطنة البحر، نظرت الأم إلى ولدها في القفص المجاور وانحدرت دمعة من عينها، ثم مدت يدها من خلال فتحات القفص، ومد يده لها، فضغطت على يده بقوة، كأنها تودعه الوادع الأخير.

يقول ذلك الرجل: وضعونا في قاع سفينة كبيرة، لا أدري كم بقينا فيها من الأيام والليالي، وكل الذي أتذكره أنني كنت أرتطم يميناً تارة، وشمالاً تارة أخرىٰ بسبب حركة الأمواج، ثم وصلنا إلىٰ بلد اسمه «المكسيك»، حيث سلمت إلىٰ عائلة لم يكن لديها ولد، وعاملني أفرادها كابن لهم، وأكرموني أفضل إكرام، واكتشفت أثناء مشاجرة مع الأطفال الذين هم في سني، أن هناك وشماً بأحرف غريبة تحت ثديي، ولم أهتم بذلك.

وترعرعت في هذه الدار، حتىٰ تخرجت من الدراسة، وقد مات الذي كان يرعاني، فلم يبق لي أحد، وبسبب الفقر الشديد في المكسيك، حاولت البحث عن مكان آخر لكسب الرزق، فخطر ببالي الذهاب إلىٰ بيرو المجاورة، فدخلت خلسة في سفينة كانت متجهة إلىٰ بيرو، واختبأت بها، نزلت منها بعد وصولها، وبدأت ببيع النعال، ويوماً بعد يوم أصبحت من أكبر الموردين والبائعين للنعال في بيرو.

وفي ليلة من الليالي سطا بعض اللصوص علىٰ محلي وسرقوا جميع الأموال التي فيه والبضاعة التي أبيعها، فانكسرت بسبب هذه الحادثة وقررت الهجرة إلىٰ الولايات المتحدة، وتزوجت، واستقر بي الحال في مدينة سان فرانسيسكو، وقبل فترة وجيزة سمعت أن جماعة من المسلمين جاؤوا لزيارة مسجد

المدينة، وكنت مشتاقاً لرؤية أي عربي، فذهبت لهم، وإذا بهم يعرفون أنفسهم بأنهم جماعة الدعوة «التبليغ»، وكانت وجوههم سمحة، تعلوها الابتسامة، والطمأنينة، وقد لبس كل منهم الثوب العربي والعمامة، مما أثار في نفسي أشجاناً واحتراماً، وألغازاً لم أكن أعرفها، وكنت محتاجاً لمن يحل عقدها لي فبدأت أحدثهم عن هذه الألغاز التي :

أولها : ما كنت أسمعه من آدم، ذلك الرجل الأسود الطويل ذي الملامح الشرقية، والذي كان يزورني في بيت من اشتروني في المكسيك ويردد عليَّ كلاماً لا أفهمه، ولم أع منه إلا كلمة واحدة لم أنسها حتى الآن وهي: «الله.. الله»، وكان إذا قالها رفع إصبعه : السبابة.

وثانيها : هو الوشم الذي تحت ثديي بلغة عربية، ولما انتهى من حديثه، عرفوه معنى كلمة «الله» ومعنى «الإسلام» وما يدعو إليه، ثم طلبوا منه أن يريهم الوشم الذي تحت ثديه، فصعق الجميع عندما رأوا الوشم المكتوب باللغة العربية ويعلوه هلال داخله نجمة، وقد كتب بالعربية «خالد عبدالله الخنبر» فهلل الجميع وكبروا، وعانقوه، وهو متعجب مما يراه منهم.

ثم أخبروه بأنه مسلم منذ طفولته، وأن اسمه «خالد»، وربما يكون بلده الذي سرق منه إحدى دول المغرب العربي، إما

الجزائر، أو المغرب، أو تونس، أو موريتانيا، وكل هذه الدول في أعلامها النجمة والهلال، فرح لذلك كثيراً، وأعلن إسلامه بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وكتب الله له النجاة قبل مماته، وخرج من عندهم وهو يحمد الله تعالىٰ علىٰ هذه الهدية العظيمة، ويرفع يديه إلىٰ السماء ويقول:

«اللهم كما هديتني للإسلام.. اهدني إلىٰ بلدي وأهلي».

الحمد لله

في منتصف نهار يوم شديد الحر من أيام الصيف الملتهب، توقف أمام قصر جميل يتربع على مساحة واسعة، وتحيط به الحدائق الجميلة، ويطل على البحر، وقال في نفسه: لماذا يملك هؤلاء مثل هذه القصور الشاهقة التي يطلقون عليها اسم: «شاليهات»، يرتادونها في نهاية الأسبوع وأيام العطل، وأنا لاأملك حتى بعض الدنانير التي أسافر بها مع عيالي لقضاء وقت سعيد، عن بلد لا يملك بعض أهله الساحل ويحرمونه على باقي الشعب؟ لماذا أعطاهم الله هذا وحرمني وغيري منه؟

ولم يجد إجابة لتساؤلاته، فكظم غيظه وأدار محرك السيارة راجعاً إلى بيته، وفي الطريق شاهد بعض العمال تحرق أجسادهم النحيلة حرارة الشمس[1]، وهم يشيرون إلى باص المواصلات أن يتوقف ليحملهم، ولكنه كان غاصاً بالركاب فلم يتوقف، فرجعوا إلى الفرن الحراري الذي يسمى مظلة ليقيهم من حرارة الشمس، ولكنه يقف عاجزاً أمام حرارة السموم التي تمزق

(١) تعتبر درجة الحرارة في دولة الكويت أعلى معدل في العالم.

أجسادهم، فجلسوا صابرين متحملين حتىٰ يمر بهم الباص الآخر.

رأىٰ صاحبنا هذا المنظر.. فهزه من الأعماق، وقال لنفسه: كان هذا هو جواب تساؤلاتي السابقة، وكأن الله يريد أن يلفت انتباهي لبعض النعم التي أنعمها عليَّ وحرمها غيري لحكمة يريدها سبحانه، فأنا أملك سيارة تنقلني إلىٰ حيث أريد وهؤلاء لا يملكون، وأنعم عليَّ بالمكيف في كل مكان أحط فيه وهم محرومون، ولي بيت آوي إليه وكثير من الناس محرومون من بيوت يملكونها، ولي زوجة صالحة قائمة بواجباتها، وغيري مبتلىٰ بزوجة لئيمة قلبت حياته إلىٰ جحيم، ولي عيال وغيري محروم منهم.. ولي.. ولي.. ولي.. وأخذ يعد نعم الله حتىٰ وصل إلىٰ بيته مستغفراً علىٰ ذلك الاعتراض علىٰ قسمة الله للرزق، وهو يتذكر قوله تعالىٰ: ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾.

وتذكر قول الله تعالىٰ: ﴿**لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾، وفهم الصحابة الكرام النعيم بأنه: التمر والماء، فكيف بمن أغدق الله عليه بأكثر من هذا؟

لو تذكر كل إنسان هذه الحقائق لزال الحسد من هذه الدنيا، ولكن هيهات أن يزول مادام للشيطان نفس، ومادام البعض

يصدقه، ويستسلم لوساوسه، وينسى الاستعاذة منه، وتذكر نعم الله عليه، ويقول: «الحمد لله في الخير والشر».

هيتشكوك (١)

في بلد من دول مجلس التعاون الخليجي ذهب ذلك الوافد الذي كان يعمل حفاراً للقبور إلى صديق له مواطن، طالباً منه أن يجد عملاً لشقيقه كعمله، فاتصل المواطن بأحد المدراء بتلك الوزارة المختصة بالمقابر. . فرد المدير على المواطن بعدم وجود شاغر أو أي درجة، إلا أن يستقيل أحد الحفارين أو يتوفاه الله تعالى.

فأخبر المواطن صاحبه الوافد بإجابة المدير. . فحزن الوافد لهذه الإجابة، واستمر بالبحث عن عمل لشقيقه، ولكنه لم يوفق لذلك، ثم غاب ذلك الوافد عن صاحبه المواطن فترة من الزمن، ولا يدري ما سبب انقطاعه عنه. . وبينما كان ذلك المواطن في عمله إذ جاءته مكالمة من صاحبه المدير يطلب منه أن يتقدم بطلب شقيق صاحبه الذي رفض في بداية الأمر لعدم وجود الشاغر. . ولما استفسر المواطن عن سبب قبوله الآن ورفضه بالسابق، فاجأه بقوله: «لقد توفي صاحبك الوافد خلال إجازته في بلده، فيمكن أن نشغل أخاه بدلاً منه». .

---

(١) مخرج سينمائي عالمي مشهور بإخراج الأفلام والمسلسلات المرعبة.

هكذا يأتي الموت بغتة دون أن يطرق الباب ليستأذن، وصدق ما قاله الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

يا مَنْ بدنياه اشتغل وغَرَّهُ طول الأمل

الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل.

حوار بين مُدْمِنَيْن

توفي والده، وبعد فترة جاء بصحبة صاحبه ورفيق دربه في الإدمان، إلى قبر والده، كي يضع بعض العلامات الدالة عليه، وبعد أن انتهى من وضع العلامة ظل صامتاً أمام قبر أبيه، وسرح بعيداً يفكر، حتى أن صاحبه كان يكلمه ولا يسمع منه لشدة الشرود.

ثم قال لصاحبه: لا ندري ربما ندفن في هذه الحفرة قريباً بعد جرعة زائدة، سنُرمَى هنا يا صاحبي، ولن يصلي علينا أحد، وربما حمل نعشنا عمال البلدية.

التفت صاحبه إليه وهو مذهول: فال الله ولا فالك.. ما الذي جنيناه حتى يتخلى عنا الأهل حتى في مثل هذه اللحظات؟

رد عليه صاحبه: كيف سيقف إخواننا وأعمامنا وأخوالنا وأقاربنا أمام الناس للتعزية؟ وبأي وجه سيقفون؟ وعلى ماذا سيعزي الناس؟ هل سنموت شهداء، أم دفاعاً عن الوطن أو العِرض؟.. إنها يا صاحبي شر ميتة، فنحن نسبب الفضيحة

لأسرنا في حياتنا وعند مماتنا، ولا أظن أن إنساناً لديه ذرة من العقل من أهلنا سيتشرف بموتنا.

صاحبه: يا بو فلان حتىٰ يحين الوقت الذي نموت فيه فإن هذه المقبرة ستغلق والحياة أمامنا طويلة.

رد عليه: وما الضمان لطول حياتنا، ونحن نرىٰ أصحابنا يتساقطون أمامنا كل يوم بجرعة زائدة، فهذا يرونه ملقىٰ في زبالة، وآخر نرميه في حفرة، وآخر أمام بوابة أحد المستشفيات.

صاحبه: كل الناس يتعاطون ويدمنون ألا يموت إلا نحن؟ (كدَّرتنا هذا اليوم...).

بعد أقل من شهر مات صاحبه بجرعة زائدة.. ودفن قريباً من والده.

الاختيار الخاطئ

كانت تحلم، كأي فتاة، بفارسها القادم من وراء غيوم القدر، تتصوره قد امتطى جواداً أبيض بحلة زاهية، ووجه وضاء، وفروسية تخلب العقل.

وجاء ذلك الفارس وطرق الباب، ووافقت عليه، لقد كان يبدو عليه كل ما تتمناه المرأة من جسم وجمال وأخلاق، ولا يعلم إلا الله ماذا كان يوجد داخل هذا الجسد.

كانت الأيام الأولى للزواج مليئة بالسعادة، وما إن انجلت تلك الأيام حتى نزع ثوب الفروسية المصطنع، ورأت مخالبه ووحشيته، بعد أن أدخل سم المخدرات من حقنة غرزها في جسده النحيل، وما إن أبدت اعتراضها بمجرد كلمات متهدجة، حتى رأت طوفاناً يتساقط عليها من اللكم والرفس، والكلمات الجارحة.

حاولت الصبر والصمت ولكنه تمادى، لقد استولى على ذهبها وباعه، ثم بدأ بالاستيلاء على راتبها الشهري، ثم بدأ ببيع ما يوجد في البيت، ويصرف كل ذلك على هذه السموم.

استجمعت قواها، وحاولت نصيحته ثانية لعله يسمع، ولكنه ضربها بوحشية، ثم لم يكتف بذلك، بل حملها وقذفها من الدور الثالث. . سمع الجيران الصراخ، فهبوا لنجدتها، استطاعوا إنقاذها وهي في الرمق الأخير، قد تحولت إلى عظام مهشمة، ولكن الحياة كانت تدب فيها. . وعلى فراش المستشفى كانت تفتح فاهاً للجميع وكأنها كانت تقول للجميع عبارة واحدة: هذه هي نتيجة الاختيار الخاطئ.

كانوا ثلاثة

كانوا ثلاثة أخوَة مع أخت لهم، يعيشون في أسرة سعيدة ينمون كما تنمو الزهور الجميلة، لا يكدر عيشهم شيء في هذه الحياة، ولا يظن والدهم بأن لهم أجمل من هذه النعمة العظيمة، ولا سعادة أكبر من سعادة هؤلاء الأبناء.

كبر الأول وناهز سن البلوغ، تعرف على رفقة السوء، وبدأ يكتسب منهم العادات السيئة، لاحظت الوالدة هذا السلوك الغريب على من ربته على الأخلاق والقيم، فقامت بتحذيره، ولكن غرور المراهقة وعناد الشباب، وقفا حائلاً دون الامتثال لتحذيرات أمه، زاد بالاحتكاك معهم، وبدأ باستخدام الدخان، صاحب ذلك الأمر، هبوط في مستواه الدراسي، ورسوب دائم ثم بدأ يتأخر عن البيت، لاحظ أبوه ذلك، وهدده، وحذره من التأخير، ولكنه لم يأبه، لاحظوا عليه الانعزال، وإغلاق حجرته، والنوم لساعات طويلة وشحوباً في الوجه، وذبولاً في جسده وعدم رغبته بالطعام، وكلما سألته أمه عن هذه الظواهر تهرب منها

وردد عليها «ما فيني شيء» . . وفي صباح حزين، دخلت غرفته فرأته جثة هامدة، وبقربه إبرة فارغة، صرخت،

وولولت، أيعقل أن إبني كان مدمناً؟ لقد مات الابن الأكبر بجرعة هيروين زائدة. . كانت صدمة كبيرة للعائلة، وكانت مفاجئة للأقرباء، من أين تعلم هذا السلوك، وكيف أنهى حياته بهذه الطريقة العنيفة؟

دفن الابن الأكبر، وصف الأب مع الأقرباء للعزاء، وكلما سألهم أحد عن سبب موته، خجلوا أن يقولوا الحقيقة، وبلعوا آلامهم به : «رأيناه ميتاً على الفراش». .

كان الأخ الثاني يحب أخاه الكبير، ويكثر من الاحتكاك به، ولم يكن ثمة فرق كبير بينهما في العمر، ولقد حزن على موت أخيه بالجرعة الزائدة حزناً عميقاً، جعله يبكي لعدة أيام، كلما تذكر ذكريات الطفولة معه.

لقد تعرف على أصدقاء أخيه الكبير، وكان يصاحبه أحياناً في بعض سهراتهم، ولكنه لم يتعاط معهم، وكتم هذا الأمر عن والديه، وعندما مات أخوه الكبير بدأ شياطين الإنس من أصحاب السوء يتصلون به ويدعونه لزيارتهم، ويغرونه بالمجيء معهم. . حتى عاد إليهم ثانية، وبدأ يراهم، وهم يتعاطون المخدرات، ويقدمونها له، ولكنه كان يمتنع في بداية الأمر، ومازالوا به حتى أقنعوه، ومن باب حب الاستطلاع والتجربة، بدأ يجرب سيجارة الحشيش، والتي ـ غالباً ـ ما يبدأ طريق

الإدمان بها . . وبدأ الانحدار في حياته . انتبهت أمه مبكراً لهذه الأمور، بكت، وتوسلت إليه، وذكرته بأخيه الكبير الذي مات بسبب الهيروين، صرخت في وجهه: «ارحموني فيما تبقىٰ من حياتي، وارحموا شيبات أبيكم». ابدي تأسفاً، واعتذر عما بدر منه، ولكن جذب أصحاب السوء كان أكبر، ثم بدأ عهداً جديداً مع المخدر، أنه عهد الهيروين، تعاطاه في سن مبكرة ثم أدمن عليه، ووقع في دائرة الضياع والموت البطيء.

بدأت الأمراض تغزو الأم المسكينة التي لم تجف ذكريات وآلام وأحزان موت الكبير حتىٰ فاجأها الصغير بنكبة أخرىٰ . . أدخلوه للعلاج عدة مرات، وكلما خرج من المستشفىٰ عاد للتعاطي مرة أخرىٰ . . واستمر في التعاطي . . حتىٰ جاء خبره للوالدة الجريحة لقد وجدوه جثة هامدة قرب أحد المستشفيات . . لقد مات الابن الثاني بجرعة زائدة من الهيروين، اتصلت شقيقتهم الكبرىٰ بأحد أعضاء لجنة بشائر الخير في الكويت ترجوه أن يدرك الأخ الثالث والأخير قبل أن يكون مصيره مصير أخويه الكبير والأوسط.

اتصلت اللجنة به، وتوثقت العلاقة، وبدأ يحضر جلساتها، ولكن اللجنة لاحظت عليه شروداً كاملاً أثناء الجلسات العلاجية، وأثناء الدروس، وبدأت التقرب إليه أكثر، فلاحظت فيه جسداً غير عقل، لقد كان يكلمهم عن أمور بعيدة

عن الواقع، تدل على أنه لا يعى ما يقول، ومن خلال خبرة اللجنة اكتشفت أنه يتعاطى شيئاً ما يؤثر على ذاكرته وتركيزه، وعندما طلبت منه المصارحة، كشف لأعضاء اللجنة: أنه مدمن لبعض الحبوب.

قد بيّنت له اللجنة خطورة هذا الأمر على ذاكرته، وصحته، وذكرته بوالدته التي فقدت الآن أخويه الأكبر والأوسط، «فلا تكن أنت الثالث» ولكنه لم يبد أية استجابة. وطلبت إليه عرضه على أحد الأطباء النفسانيين، ووافق على ذلك، وكانت الجلسة طويلة بذل فيها الطبيب جهداً مضاعفاً لإقناعه بخطورة هذه الحبوب، ولكنه كان يقول للطبيب: «انني لا أشعر بالراحة والقدرة على التعامل مع الآخرين حتى أتناول هذه الحبوب». حاول الطبيب أن يقنعه بحبوب أخرى تريح الأعصاب وليس لها خطورة الحبوب التي يتعاطاها، ولكنه رفض.

ثم أرسل لي رسالة يقول فيها: أنه سينتحر إذا لم أتدخل في توفير بعض الحبوب التي كان يتعاطاها، فقلت له عند لقائه «لا يمكنني أن أساهم في قتلك» غضب مني، وغضب من أعضاء اللجنة تركناه لفترة طويلة لم نسمع أخباره.. ثم جاءنا الخبر لقد وجدوه ميتاً بجرعة زائدة.. لقد مات الابن الثالث بالمخدرات.. هذه نهاية طريق المخدرات فهل من متعظ؟!

الإفراج عن والده

صلاح شاب كويتي صالح، من أسرة عريقة ووالده أحد رجالات الدولة المعروفين. . اقتيد هذا الوالد أسيراً أيام احتلال العراق للكويت. . وبعد التحرير. كان الوضع صعباً للغاية ومحرجاً لكل عراقي في الكويت، وكان صلاح يعرف أحد الشباب المتدين من العراقيين العاملين في الكويت، والذي ساعد الكويتيين كثيراً أيام الأزمة. . ولكنه بعد التحرير وفي غياب النظام في الأيام الأولي قبض عليه بعض الشباب الكويتي، واقتادوه لأحد المخافر، وعلم صلاح بصاحبه، فذهب يشفع له، ويتوسط لإخراجه، ويخبر السلطات بحقيقة صاحبه العراقي، وبأنه كان مع الشعب الكويتي، ويذكر لهم مواقفه الشريفة بالرغم من صعوبة المهمة في كل اللحظات من أيام التحرير، وكل كويتي يغلي غضباً على كل ما يتصل بالعراق، وهم معذورون في ذلك، لما رأوه من التنكيل والظلم على أيدي جنود صدام. . وكان صلاح متيقناً بأن هذا العمل الذي ينفس فيه كربة ذلك الصديق، سيكون سبباً في تنفيس كربة والده. .

وفعلاً نجح مسعاه، وأخرج صديقه من الحجز، وبعد أيام

إتصل والده من البحرين . . فاستغرب صلاح اتصال والده، وسأله عن سبب تواجده في البحرين، ولكن والده. طلب إليه المجيء للبحرين لإيصاله للكويت. ووعده بإخباره تفاصيل ما حدث له هناك.

وعندما وصل صلاح لوالده. . وهو متلهف للاستماع، قال له الوالد. . بينما كنت أسيراً في السجن، وإذا بمدير السجن يناديني، وهو يتأمل في وجهي، ويسألني: هل تعرفني، وحاولت أن أتذكر هذا الوجه، ولكن ذاكرتي لم تسعفني، فقلت لا أتذكرك. . فقال لي: حاول أن تتذكر. أصحابك في الثانوية. . . أما تتذكر فلان. .

فرد عليه والد صلاح: نعم.

قال: هذا هو أنا. . كنت صاحبك في مدرسة واحدة. فاعتنقا عندما تعرف كل منهما على الآخر. ووعده بأن يخرجه من السجن. وفعلاً قام بإخراجه، وأعانه على الخروج إلى الأردن ثم البحرين. .

قال صلاح لوالده. . تذكر ياوالدي اليوم الذي حدثك ذلك السجان وأخرجك من السجن، فأخبره عن اليوم. . فرد عليه صلاح حالاً: الله أكبر، لقد كان نفس اليوم الذي أخرجت

فيه صاحبي العراقي إنها معادلة لا تخطئ أبداً . .

«مَنْ نَفَسَ عن مؤمن كُربة من كُرب الدنيا نَفَسَ الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة ، ومن يَسّر على مُعسرٍ يَسّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . . . »(١) الحديث .

فافعل ما شئت ، كما تدين تُدان .

(١) رواه مسلم : ٤٨٦٧ كتاب الذكر .

أصحاب الحديدة

توجه هو وزوجته وابنه الصغير إلى العمرة بسيارته، وبعد أن أتموا العمرة، بقي القليل من الريالات السعودية وهم راجعون إلى الكويت، وفي الطريق انفجر أحد الإطارات، فأبدله بالإطار الاحتياط، وعند الغروب دخلوا إحدى القرى، ومع اختلاط الظلام بالنهار لم يلحظ حديدة كبيرة معترضة الشارع، ويبدو أنها سقطت من إحدى الشاحنات، فأتلفت أحد الإطارات، مما اضطره إلى إيقاف السيارة على جانب الطريق، وأخذ هو وزوجته يتوسلان الله بأعمالهما الصالحة لعل الله أن يفرج كربتهما في ذلك الطريق المقطوع، وهما لا يملكان من المال شيئاً، فقالت زوجته له: لم لا نزيل أولاً تلك الحديدة التي آذتنا وسببت ما نحن فيه، قبل أن تصطدم بها سيارة أخرى، فأجابها، وحاول وحده إزالتها عن الطريق فلم يستطع لثقلها، فساعدته زوجته، وبصعوبة بالغة استطاعا زحرحتها إلى جانب الطريق.

وانتظر الفرج من الله، وما هي إلا دقائق حتى توقفت سيارة بقربهم، ونزل منها بعض الرجال والنساء ليصلوا المغرب، فانتظرهما صاحبنا حتى انتهوا من الصلاة ثم توجه إليهم يطلب

منهم المساعدة، وإذا بهم يهبون لنجدته، ومنعوه حتىٰ مساعدتهم في تغير الإطار، وعندما أخبرهم بأن إطاره الإحتياطي منفجر أيضاً ذهب أحدهم إلىٰ أقرب محطة، واشترىٰ له إطاراً جديداً، وجاء به، وقام بتركيبة مكان الإطار المعطل.

ثم سأله أحدهم.. هل تحتاج إلىٰ مال؟؟ فتحرج صاحبنا في الإجابة، فرد عليه نعم نحتاج.

فقال صاحبنا.. إذا لم يكن حرجاً عليك فلا أحتاج أكثر من خمسين ريالاً..

ولكن ذلك الرجل أخرج له ٣٠٠ ريال.. وألزمه بقبولها. فلما تمنع صاحبنا. قال له الرجل.. خذها فإنها ليست لي.. فرد عليه: لمن إذن..

فقال: إن لهذه الثلاثمائة قصة.. فقد حدث لي انفجار في الإطار سببه حديدة ساقطة في هذا المكان نفسه، وكانت معي زوجتي وعيالي. واحترت ماذا أفعل، وماكنت أملك من المال إلا القليل.. فأوقف رجل كويتي سيارته وترجل منها، وساعدني، واشترىٰ لي إطاراً جديداً ثم أعطاني ٣٠٠ ريال.. ولما قلت له: كيف أردها عليك؟ قال.. إنني ذاهب للعمرة. فإذا لقيتني أعطنيها، وإذا لم تلقني فتصدق بها.. وأنا منذ ذلك

اليوم أنتظر أن أتصدق بها، فكانت من نصيبك، وللمشكلة نفسها المشكلة التي وقعت لي من قبل . .

حمد الله صاحبُنا، وتعجبا من قدرة الله العظيم. ومن صدق هذه المعادلة التي لا تخطيء أبداً .

«مَنْ نَفَسَ عن مؤمن كُربة من كُرب الدنيا نَفَسَ الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة، ومن يَسّر على مُعسرٍ يَسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . . .»(١) الحديث .

(١) رواه مسلم : ٤٨٦٧ كتاب الذكر .

أَذْهَبَتْ عقلَه

شاب في مقتبل العمر كان فريسة سهلة لأصحاب السوء من موزعي السموم حدثته نفسة بالتوبة، بعد معاناة طويلة من ويلات المخدرات.. وسأل عن طريق النجاة، فدل علي لجنة بشائر الخير..

دخل اللجنة وقد بدا عليه الاضطراب، والذهول، وشحوب الوجه واصفراره. جلس إلي أعضاء اللجنة ونظراته زائغة، وكان واضحاً تلك الكدمات الكثيرة والجروح في وجهه وبعض أجزاء من جسده النحيل.

سأله أحد أعضاء اللجنة عن تلك الجروح والكدمات؟

فقال: أيقظت أسرتي في ساعة متأخرة من الليل، وقلت لهم: أخرجوني للخارج، وعندما تعذروا بسبب تأخر الوقت، أصررت علي طلبي، وبدأت بالصياح والإزعاج، وكلما عاد أخي إلي النوم ذهبت إليه أطلب منه بإلحاح إخراجي خارج المنزل..

سألني أخي عن السبب. فقلت: هناك ضرروة قصوىٰ تستدعي خروجي حالاً..

خرج أخوه ـ رغم أنفه ـ بعد أن خشيت الأم الفضيحة لكثرة الصياح، وقام أخوه بإخراجه للخارج..

إن ليلة واحدة تعيشها أفراد الأسرة مع ولدهم المدمن تعني الكثير الكثير..

إن فرداً مدمناً في أسرة يكهرب الأجواء الأسرية ويحيلها من الهدوء إلي الاضطراب، ويجعل أفراد الأسرة يتوارون من الفضيحة، ويعمدون إلي الاختفاء عن عيون الناس، ويتوقعون رنين الهاتف كل لحظة ليخبرهم بالقبض علي ولدهم في أحد المخافر، أو العثور علىٰ جثته في حادثة جرعة زائدة، أو وفاة إثر حادث سيارة أو غيره..

دخل ذلك الشاب سيارة أخيه، وانطلق به إلي أحد الطرق السريعة.. وأثناء انطلاق السيارة بسرعة كبيرة.. توهم ذلك الشاب بهاتف يقول له: «إن الله لن يغفر لك حتي تثبت له أنك تائب توبة نصوحاً، وهذا لا يتحقق إلا إذا رميت بنفسك الأن من السيارة» تردد قبل التنفيذ، ولكن الهاتف جاء ثانية، وثالثة، ففتح الباب دون علم أخيه، ومي بنفسه من الباب المقابل لجانب الطريق، تدحرج جسده النحيل عدة مرات، واختلط الرمل بدمائه التي تدفقت من كل جزء فيه، وتمزقت ثيابه، وسكن دون تحرك، ثم جاءه الهاتف ثانية يقول له: «لا يكفي ما فعلت لتثبت

لله بأنك تبت توبة حقيقية، بل لا بد من إتمام ذلك، بضرب رأسك بحجارة» واستسلم لهذه الوساوس، وزحف حتى لامست يده المليئة بالدماء حجارة، واخذ يضرب بها رسه حتى خر مغشياً عليه.

في هذه اللحظة جاء أخوه يجري نحوه، يحسب أنه فارق الحياة.. وحمله في سيارته وانطلق إلى أقرب مستشفى، وتم علاجه مما أصابة من الجروح، ولكن الوساوس، والأوهام، ظلت من غير علاج يزيد اشتعالها إصراره علي تناول المزيد من حبوب الهلوسة.

هكذا هي حال المدمنين. وهكذا ينهون حياتهم، فيعيشون معذبين في هذه الحياة، وفي القبر، ويوم القيامة. وهذا ما يفعله المخدِّر بالإنسان، بعد أن يلغي عقله، ويسيطر عليه المخدر اللعين.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الخاتمة

قد تؤثر القصَّة في الإنسان أكثر ما تؤثر فيه عشرات المواعظ، ولقد طوَّفت في هذا الكتاب الصغير بعشرات القصص التي أرجو أن تكون قد وعظتك وأحدثت فيك تلك المعاني الجميلة السامية التي أرجو أن تتحول إلي سلوك جميل كجمالها، وألا تنساها ما حييت.

عبد الحميد البلالي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
دروس من السيرة (١)	٧
دروس من السيرة (٢)	٩
دروس من السيرة (٣)	١١
أبو لهب	١٣
أحس بضيق شديد	١٥
ليلى والذئب (١)	١٧
ليلى والذئب (٢)	١٩
دروس من غزوة بدر (١)	٢٢
دروس من غزوة بدر (٢)	٢٤
أخطر سلاح على الأرض	٢٦
الهاتف القاتل	٣٠
جولة بين شواهد القبور	٣٣
ليس فيلماً هندياً	٣٦
قبل فوات الأوان (١)	٣٩

قبل فوات الأوان (٢) ٤١
ليلة في كفن البحر (١) ٤٣
ليلة في كفن البحر (٢) ٤٥
ليلة في كفن البحر (٣) ٤٧
أريد أن أسلم ٤٩
هل جربتها ؟ ٥١
نعيمان . . ودعاة اليوم ٥٣
أثر الدعاء ٥٥
ذنبان معجلة عقوبتهما ٥٦
قصة من الأزمة ٦٠
سوء الخاتمة ٦٢
من عجائب سنن الله ٦٤
بين بشارتين ٦٦
صدقوني إنني أموت ٦٩
فيني جني طلعوه مني ٧٢
قلوب من فولاذ ٧٤
الدولة الغريبة ٧٦
ما أدلّ حَولي ٧٨

شر البلية ما يُضحك ٨٢
أغرب من الخيال ٨٤
الحمد لله ٨٨
هيتشكوك ٩١
حوار بين مدمنين ٩٣
الاختيار الخاطئ ٩٥
كانوا ثلاثة ٩٧
الإفراج عن والده ١٠١
أصحاب الحديدة ١٠٤
أذهبتْ عقلَه ١٠٧
الخاتمة ١١٠
الفهرس ١١١

* * *

سنف : محمود محمد المتولي
المنصورة . ميت منتر . ت: ٥٢٩٩٠٧ / ٠٥٠ / ٠٠٢

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مكتبة المنار الإسلامية

كويت - حولي - شارع المثنى - تلفون: ٢٦١٥٠٤٥ - ٢٦٥٤٦٣٩

فاكس: ٢٦٣٦٨٥٤ - ص. ب: ٤٣٠٩٩ حولي - الرمز البريدي 32045